تربية الناشئة في ضوء السيرة

تأليف

الشيخ عبدالله بن ابراهيم الانصاري

مدير ادارة احياء التراث الاسلامي

بدولة قطر

البحث المقدم للمؤتمر الرابع للسيرة
والسنة المنعقد بالقاهرة

طبع على نفقة

ادارة احياء التراث الاسلامي بدولة قطر

التربية الإسلامية
التربية الجنسية
الأيام والليالي

ع
ع ت

تربيـــــة الناشئـــة
في
ضـــوء الســـيرة

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة
رقم التصنيف: ٢١٢ / ع ت
الرقم العام: ١٣٠٦٢
الرقم الآلي: ٧٩٦٢
جهة الورود:

تأليف

الشيخ عبدالله بن ابراهيم الأنصاري

مدير ادارة احياء التراث الاسلامي
بدولة قطـر

البحث المقدم للمؤتمر الرابع للسيرة والسنة المنعقد بالقاهرة

طبـع على نفقـة
ادارة احياء التراث الاسلامي بدولة قطر

المكتبة العامة
الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

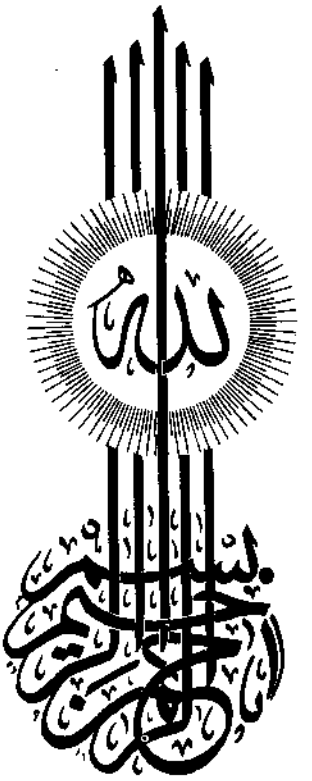
بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم

إن الحمد لله رب العلمين لفضل عنايته ومحض رعايته ..
والصـلاة والسلام على إمام المربين وقدوة المعلمين القائل :
[إنمـا بعثـت معلمـاً » . .

وبعـــد :

فحياة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته تربية لامته فمنـذ انقشع الحجاب بين السماء والأرض بنزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى : [اقـــرأ] بدأ النبي صلى الله عليه وسلم تربيـة الأمة المسلمة وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم أولى مـدارس التربيـة في العالم مؤسسة تربوية كاملة .

فالمنهـــج : كتـاب الله تعالى وهـو العقيدة النقيـة والشريعـة الكاملـة والأخلاق الفاضلة .

والمعـــلم : رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة والموعظة الحسنة .

والطـــلاب : الرعيل الأول من الصحابة وقد كانـوا تشكيلة من مختلف الأجنـاس والأعمار والأنـواع تشربت روح الاسـلام ففاض سلوكها عنه في دقة والتزام .

* والطريقة التربوية والوسائل التعليمية : تكفل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن ويبنى وينفذ تربية وسيلتها القدوة الخالصة :
﴿ وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ﴾ .

* سبب الاختيـار : يسير البحث في التربية الاسلامية في محورين :

[أ] محور فلسفي : يدور حول الأساس النظـري الذي تقـوم عليه التربية الاسلامية .

[ب] محور تاريخي : يدور حول تتبع الأساس النظري كما تمثل واقعاً حياً عبر التاريخ الاسلامي الطويل

ولقد دارت الرسائل الفلسفية والبحوث النظرية حول فلسفة التربية في القرآن[1] ، فلسفة التربية كما تبدو في ضوء الحديث وهى رسالة سجلهـا عبد الجواد السيد بكر بجامعة طنطا وهى على وشك المناقشـة أو نوقشت فعلاً ، دور القصة القرآنية فى تربية الانسان المسلم سجلها محمـد أحمد أبو الحسن ١٩٧٨ (تربية طنطا) .

وأما المحور التاريخي الحي : فلم تسجل فيه إلا رسالتان : التربية في القرن الرابع الهجري للدكتور حسن عبد العال ، ونظـام التربيـة في عصر المماليك في مصر (على سالم ابراهيم النباهين) ، وبحث تربية النشء في ضوء السيرة في مؤتمر السنة للاستاذ محمد الأبشيهـي .

ومن هنا فان الابحاث لم تقم الى الآن بتغطية :

١ ـ العصر النبوى وهو من أخصب العصور في معطيات التربية .

٢ ـ لم تبلور هذه الموضوعات بشكل جيد مع شباب مؤمن مقتنع بـالمجال ومستعد للبذل والتضحية ليصل الى شىء فيه .

٣ ـ وأما الفلسفي فالرسائل ركزت على القرآن ولم تعط السنة ما ينبغى ولم تعط السيرة اطلاقاً أي مجال في الاطار النظري علماً بان الأمر كالآتى :

---

(١) « فلسفة التربية في القرآن » د . علي خليل دار الفكر ١٩٨٠ م المقدمة د . عبد الغني عبود ص ٥

* [القرآن الكريـم] : المصدر الأول للتشريع .

* [السنة المطهـرة] : هى المصدر الثانى وهى تفسر ما أبهم أو تخصص ما عم أو تقيد ما أطلق أو تطلق ما فيه الى آخر ..

وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الترجمـة العملية للقـرآن الكريم فقد سئلت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقـه القرآن .. ولذا وقع اختياري على تربية النشء في ضوء السيرة والسنة .

الغـرض : الكشف عن اطار فلسفى لتربية النشء من خلال السنة والسيرة عن الطريق الآتى :

١ ـ تشـوين الوقـــائع .

٢ ـ تفكيـر الوقـــائع .

٣ ـ تقديم صياغـة معاصــرة لتربيـة النشء على ضـوء القرآن والســنـة .

المنهـج : التحليـــــلي ..

الطريق : وضـع المحور الفلسفي فالتطبيق من تاريخ الاسلام الحي .

أولاً الاطـــــار الفلسفـــــى :

أ ـ نظرة الاسلام إلى الكـون وانعكاس ذلـك على التـربية .

ب ـ نظرة الاسلام إلى الانسان وانعكاس ذلك على التـربية .

جـ ـ نظرة الاسلام الى المجتمع وانعكاس ذلك على التربية .

أولاً : الاطـــــار الفلســـفي ..

تختلف التربية من مجتمع لآخر لانهـا عملية اجتمـاعية فهى تختلف لاختلاف القوى المؤثرة فيها وتشتق التربية أهدافها من أهـداف المجتمع وتشكل نفسها حسب فلسفة المجتمع[٢] . .

وتعنى كلمة التربية عند علماء اللغة التنمية يقال رباه أى نماه وربى فلاناً أى غذاه ونشَّأه ، ورباه نمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية[٣] .

والتربية أوسع في المدلول من التعلم لأنها وسيلة لتغيير السلوك فهى نظر وعملوفكر وترجمة سلوكية ، وهي أيضاً أوسع من مجرد نقل التراث لأنها في دورها الفعال اثراء للخبرات كأساس لنمو نظم اجتماعية جديدة تتلاءم مع التطور السريع للحياة وتواجهه بما يصلحه .

اذن فالتربية : تلك العملية المقصودة أو غير المقصودة التى اصطنعها المجتمـع لتنشئة الأجيـال الجديـدة ، وبطريقـة تسمح بتنميـة طـاقـاتهم وامكانياتهم الى أقصى درجة ممكنة ضمن اطار ثقافي معين قوامـه المناهـج والاتجاهات والأفكـار والنظم التى يحددهـا المجتمع الـذى تنشأ فيـه بما يجعلهم على وعى بوظائفهم في هذا المجتمع ودور كل منهم في خدمته ونمط الشخصية التى يختارها ثم نوع السلوك الذى يجب عليه ان يَسلكه[٤] وتبدأ التربية ببداية حياة الانسان وبداية الحياة تمثل عجزاً له دلالته فهو يعنـى :

[أ] حاجة الطفل الى الآخرين لاستمرار بقائه :

﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ﴾ .

---

(٢) فلسفة التربية الاسلامية في القرآن الكريم د . على خليل ـ دار الفكر ـ ١٩٨٠ ص ٥١ .

(٣) « المعجم الوسيط » ج١ ط ١٩٨٠ هـ ١٩٦٠ م ـ مجمع اللغة ـ .

(٤) د . محمد سيف الدين فهمي ، د . سليمان نسيم « مبادىء التربية الصناعية » ـ الانجلو ـ ١٩٦٧ ص ٤ .

[ب] فرصة التعليم لاحتكاكه بالآخرين .

[جـ] الاستعداد لتشكيل نشاطه في قوالب معينة .

[د] تنمية وسائل التعبير .

- **وتوجد في مجتمع له ثقافته ونظرته الى :**

[أ] الانسان ومكانه في هذا الكون ودوره في تعميره .

[ب] الكون وعلاقته بالانسان وكيف سخره الله له .

[جـ] الحياة وتشعباتها ، مما يؤثر في عملية التربية فى علاقة الفرد بالمجتمع والعكس وتنعكس مجموعة التصورات الثقافية في المجتمع وفي الكون والانسان والحياة على التربية .

فنحن نرى من الواقع انَّ المعسكر الشيوعي : يربي الفرد الشيوعي وفق أيديولوجية المعسكر التى تنعكس على التربية فى شتى النواحى في المبانى المدرسية وفى المنهج وفى السلم التعليمي نوعاً وكماً وكيفاً وعلى المدرس وعلى الطالب حتى ينتهى مطاف التربية بالطالب الى بنائه فكراً وسلوكاً بناء شيوعياً وفق تصور دولته وبنفس الدرجة في المعسكر الرأسمالي .

وعليه فيجب ان تسود تصورات الاسلام التربية الاسلامية في المجتمع المسلم حتى يتم بناء النشء وفق تصورات الاسلام في الكون والانسان والحياة ولقد كان امام المربين صلى الله عليه وسلم يربى الجيل الصالح لانشاء الحياة الصالحة وفق منهج الله تبارك وتعالى وكانت سيرته منبعاً صافياً يشرب الواردون منه ويتربى الجيل في ظلاله وقد أثمر هذا المنهج الثمرة التى هزت شجرة الوجود بأسرها واقتلعت الفساد من جذوره وطهرت الأرض من شروره في دقة وشمول واستمرارية وعلم وعمل .

وفي اللمحات الآتية سنحاول القاء الضوء على نظرة الاسلام في الكون .. ونظرته الى الانسان وعلاقته بالكون والى المسلم وعلاقته بالمجتمع وكيف انعكست هذه النظرة الرشيدة على التربية فى شتى مجالاتها وموقع التربية في الاسلام وطبيعتها وأهدافها ، وميادينها ، وطرقها ثم نعقب ذلك بالتاريخ الحي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والله من وراء القصد .

* **الاسلام والكون :**

ان البحث المفصل عن نظرة الاسلام الى الكون ليس محله هنا ولكنها لمحات تقتضيها الضرورة حتى يرتكز البحث على اطار مرجعى سليم بين الفلسفة الاسلامية فى تصورها للكون والانسان والمجتمع وأثر هذه النظرة في التربية لأن تربية النبى صلى الله عليه وسلم كانت على أساس هذه الأصول الجامعة .

ولقد جاء الاسلام بأكمل تصور عن الكون فهو :

١ ـ صادر عن الارادة المطلقة يستمد من الواجب وجوده ويتلمس رضاه في طاعته .

٢ ـ كل جزء فيه ملحوظ تناسقه مع سائر الأجزاء ولكل موجود فيه حكمة تتعلق بهذا التناسق الملحوظ[٥] .

* ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾[٦] .

* ﴿ إنّا كل شيء خلقناه بقدر ﴾[٧] .

---

(٥) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الاسلام ، ص ٢٢ ـ دار الشروق ـ بيروت ١٩٧٤ م .

(٦) الفرقان آية ٢ (٧) القمر آية ٤٩

* ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير ﴾[٨] .

فالارادة التى يصدر عنها الوجود أولاً ويحفظ بها وينتظم ثانياً تلاحظ في كل موجود تناسقه ونفعه الكلي للوجود [٩] .

والكون حينما أوجدته يد المبدع لتكون أرضه مقرّاً لخلافة الانسان فقد جهز بما يلائم الانسان ويساعده ويحتاج اليه « والانسان جزء من هذا الكون لا ينفصل عنه » وعليه « أن يدرسه ويتفهمه ويعرف أسراره »[١٠] .

وطريق الانسان الى ذلك هو العلم النافع ذلك العلم الذي يمكنه من آداء رسالته في الحياة .

فبالعلم مكن الله الانسان ان يخوض البحر بلا زعانف .

وأن يغوص في الماء بلا خياشيم . !

وأن يطير في الهواء بغير ريش . !

وأن يدمر الجبال بغير معول . !

وأن يشق الانفاق بغير فأس . !

وأن يجد البرد في غير الشتاء . !

وان يجد الدفء في غير الصيف . !

---

(٨) الملك آية ٣ وما بعدها

(٩) سيد قطب « مرجع سابق » ص ٢٢ .

(١٠) د . عبد الغني عبود : « الاسلام وتحديات العصر » الكتاب الأول ـ دار الفكر ـ ١٩٧٦ م ص ٧٣ .

والقول بالجفوة بين الدين والعلم انما هو نقل لواقع جرى في غير بيئتنا وحديث عن معارك جرت في غير عقيدتنا ، انما هو الصـراع بين الكنيسة والعلماء ، لابين الاسلام والعلماء فللعلم عندنا مجاله الديني والدنيوي وللدين مجاله الشمولي .

- فأول آية نزلت :
* ﴿ إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم ﴾[١١] .

- وفي الاسلام :
* ﴿ العلماء ورثة الأنبياء ﴾[١٢] .

- وفى الاسلام :
* ﴿ من سلك طريقاً يطلب به علماً سهَّل الله له طريقاً الى الجنة ﴾ .

ولقد أثرت هذه النظرة الفكر الانساني عامة والإسلامي بوجهٍ خاص .

- فليس الكون عدوّاً يصارعه الانسان واصطلاح قهر الطبيعة اصطلاح غير اسلامي ، فالكون مسخر للانسان بأمر الخالق العظيم .
- وليس العلم عدواً للدين بل هو ناصر يدعمه .

ورسالة الانسان اذن .. ان يدرس هذا الكون بأوسع مفهوماته ، فالاسلام يعتبر ذلك لوناً من ألوان العبادة ليستحق الانسان منزلة الاستخلاف في الأرض .. وقد سبق الاسلام العلم الحديث الى دراسة الكون[١٣] ولكن ليس هذا مجال سرده .

---

(١١) العلق آية ١ وما بعدها .

(١٢) صحيح البخاري جـ١ ص ٢٦

(١٣) « التربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري » د . حسن عبد العال ص ٤٠ ـ دار الفكر العربي ـ

* الانســـــان :

١ ـ خلــق الانســان :

* ﴿ واذا قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة . (قالو) أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . (قال) إنى أعلم ما لا تعلمون . وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين (قالوا) سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم (قال) ياآدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾[١٤] .

ها نحن أولاء بعين البصيرة في ومضات الاستشـراق في ساحـة الملأ الأعلى .. وها نحن أولاء نسمع ونرى قصة البشرية الأولى .

٢ ـ مركز الانسـان :

* ﴿ واذا قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة ﴾ .

« فالخليفة خليفة من الله ، وخليفة على الأرض » ، واذن فهى مشيئة الله تبارك وتعالى تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد زمام هذه الأرض وتطلق فيها يده وتكل اليه ابراز مشيئة الخالق في الابداع والتكوين والتحليل والتحوير والتبديل . وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات وتسخير هذا كله باذن الله في المهمة الضخمة التى وكلها الله اليه .

واذن فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة والاستعدادات المذخورة كفاء ما فى هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات[١٥] ، ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الألهية .

---

(١٤) سورة البقرة من الآية ٣٠ الى ٣٣ .

(١٥) « في ظلال القرآن الكريم » ج ١ ص ٥٦ ـ دار الشروق ـ

واذن فهنالك وحدة أو تناسق بين النواميس التى تحكم الأرض ـ وتحكم الكون كله ـ والنواميس التى تحكم هذا المخلوق وقواه وطاقاته كى لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك وكى لا تتحطم طاقة الانسان على صخرة هذا الكون الضخمة[١٦] هذا كله بعض ايحاء التعبير العلوى الجليل ﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ حين تتملاه اليوم بالحس اليقظ والبصيرة المفتوحة ورؤية في الأرض على يد هذا الكائن المستخلف في هذا الملك العريض ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . . ﴾ الخ .. ويوحى قول الملائكة هذا بأنه كان لديهم من شواهد الحال أو من تجارب سابقة في الأرض أو من الهام البصيرة ما يجعلهم يتوقعون انه سيفسد في الأرض وانه سيسفك الدماء ـ ثم هم بفطرة الملائكة البريئة التى لا تتصور إلا الخير المطلق وإلا السلام الشامل يرون التسبيح بحمد الله والتقديس له هو وحده الغاية المطلقة للوجود وهو وحده العلة الأولى للخلق . وهو متحقق بوجودهم هم يسبحون بحمد الله ويقدسون له ويعبدونه ولا يفترون عن عبادته .

لقد خفيت عليهم المشيئة العليا في بناء هذه الارض وعمارتها وفي تنمية الحياة وتنويعها وفي تحقيق ارادة الخالق وناموس الوجود في تطويرها وترقيتها وتعديلها على يد خليفة الله في الأرض .. هذا الذي يفسد أحياناً وقد يسفك الدماء أحياناً ليتم من وراء هذا الشر الجزئى الظاهر خيراً أكبر واشمل .. خير النمو الدائم والرقي الدائم خير الحركة الهادمة البانية ، خير المحاولة التى لا تكف . والتطلع الذي لا يقف والتغيير والتطوير في هذا الكون الكبير عندئذٍ جاءهم القرار من العليم بكل شيء والخبير بمصائر الأمور ﴿ إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾[١٧] هكذا يحدثنا كتاب الله عن الانسان فهو إما حديث

---

(١٦) « في ظلال القرآن الكريم » ج ١ ص ٥٦ ـ دار الشروق ـ

(١٧) المرجع السابق

للانسان أو حديث عن الانسان[١٨] وحينما تقرأ قول الحق ﴿ علم آدم الأسماء كلها ﴾ .. نشهد طرفاً من السر العظيم الذى أودعه الله هذا الكائن البشري وهو يسلمه مقاليد الخلافة سر القدرة على الرمز للأسماء بالمسميات . سر القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها وهى اسماء لفظية منطوقة رموزاً لتلك الأشخاص والأشياء المحسوسة وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الانسان على الأرض .. ندرك قيمتها حين نتصور الصعوبة الكبرى لو لم يُوهب الانسان القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات والمشقة في التعامل والتفاهم حين يحتاج الفرد لكى يتفاهم على الآخرين على شيء ان يستحضر ذلك الشيء[١٩] .

٣ ـ ماهيـــة الانســـان :

هو خليفة على الأرض ، خلق من مادتها ليسهل على الانسان التعامل معها .

وهو خليفة من الله ولذلك سواه ونفخ فيه من روحه ولذلك من تصفح القرآن والسنة نجد ان الانسان هو الكائن الوحيد الذى قال الله فيه (انه جاعله خليفة) .. .

وهو الكائن الوحيد الذى قال الله فيه إنه نفخ فيه من روحه فمن خلال الربط بين العلة والمعلول تنقدح النظرة المقننة فيه من الملكات الكمالية ما يرقى به الى ما يتفوق به على الملائكة ومن نوازع الشهوة والغرزية ما ينحط به الى الدونية عن الحيوان « لأنه أهل للكمال والنقص لما يطرأ عليه من استعداد لكل منهما[٢٠] ومن هنا تبرز قيمة التربية في حياته :

---

(١٨) « فلسفة التربية في القرآن » د . على خليل ـ مرجع سابق ـ ص ٦٤ .

(١٩) « في ظلال القرآن الكريم » ص ٥٧ .

(٢٠) عباس محمود العقاد : « الانسان في القرآن » المجلد السابع من اسلاميات العقاد ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٧٤ .

* ﴿ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين ﴾[٢١] .

واستخلاف الانسان على هذا النحو تشريفٌ له ولكن هذا الاستخلاف يلقى على الانسان أعباء ومسئوليات لا مهرب له من القيام بتبعاتها مستخدماً عقله في ذلك والاسلام يعول على هذا العقل في أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف . وبذا يذكر العقل دائماً في مقام التنبيه الى وجوب العمل به فالعقل « لكل فضيلة اس ولكل أدب ينبوع . وهو الذى جعله الله للدين أصلاً وللدنيا عماداً ، فأوجب الله به التكليف بكماله . وجعل الدنيا مدبرةً بأحكامه . والعاقل أقرب الى ربه تعالى من جميع المجتهدين بغير عقل »[٢٢] .

وعليه فنخلص الى :

١ ـ الانسان خليفة الله في الأرض . وهو سيدها ومن أجله خلق كل شيء وسخر له كل شيء .

٢ ـ أعلى الله شأنه فأسجد له الملائكة والجن وطرد من امتنع عن السجود .

٣ ـ ان الخطيئة فردية والتوبة فردية والخير سابق على الشر في حياة الانسان[٢٣] .

٤ ـ ان الانسان مجموعة من القوى بين الطين والنفخة الألهية[٢٤] بما يؤهله :

[أ] للتلقى عن الله تبارك وتعالى .

[ب] عمارة الأرض وهى موطن خلافته .

---

(٢١) سورة التين آية ٤ ، ٥ .

(٢٢) « الجامع لأحكام القرآن » (القرطبي) ـ دار الشعب ـ القاهرة ١٩٧٠ ص ١٨٣١ .

(٢٣) د . علي خليل ـ مرجع سابق ـ ص ٩٨ .

(٢٤) د . يوسف القرضاوى « الايمان والحياة » ـ مكتبة وهبة ـ ١٩٧٣ م ص٧٦ .

[ج] نظـرة الاسـلام الى المجتمـع :

أوضح الاسلام صورة كاملة للكون .

وتكريمـاً للانسـان .

وفلسفـة واضحة للمجتمـع « أساسهـا الرئيسي العقيـدة »[٢٥] حيث الاعتقاد بوحدانية الله ومن ذلك تنطلق بقية اجزاء الفلسفة الاجتماعية وقد قدم الاسلام إطـاراً عامـاً للفلسفة الاجتمـاعية وجعلهـا أساسـاً للفلسفة التربوية ويشتمل الاطار العام على .

١ ـ خلق الانسان فرداً لينتشر في الأرض ويكون المجتمعات ووجوده ليس قاصراً على تحقيق حاجاته البيولوجية وانما لتحقيق ما هو أسمى .

٢ ـ دور الانسان دور الفرد في النظام الاجتماعي فهو لبنة الوجود « وأعظم ثروة فيه »[٢٦] فهو فرد في أسرة وفي جماعـة وفي المجتمع الانسـان كله[٢٧] ويتم ذلك على أساس :

[أ] الانسان عنصر تكوين الجماعة .

[ب] له رسالة يحقق فيها أهدافه وأهداف مجتمعه من خلال الاطار الذى حدده له الاسلام .

[جـ] له حقوقـه الدينيـة ـ والانسانيـة ـ والمدنيـة ، وحق التعليم ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ « انما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به ، لانه كلما كـانت المعرفـة للعظيم القدر

---

(٢٥) « فلسفة التربية في القرآن » ـ مرجع سابق ـ ١١٠ .

(٢٦) الشيخ محمد أبو زهرة « المجتمع الانساني في ظل الاسلام » ـ مجمع البحوث ـ ١٩٦٦ م ص ٣٤٠ ، المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية .

(٢٧) د . عبد الحميد حسن ، من بحوث مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية : « الحياة المثالية للفرد والأمة كما أوضح الاسلام معالمها » ١٩٧٢ ج ٤ .

العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى . كلما كانت المعرفة أتم وأكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر »[٢٨]

[د] اهتم الاسلام بالأسرة اهتماماً بالغاً لانها أساس تكوين المجتمع وجعل المدخل لتكوينها هو الزواج وأمر به لأن له دوراً مهماً في الترابط الاجتماعى والسكن والمودة والرحمة وتحقيق الجو الاجتماعي الصالح للتنشئة الاجتماعية وأساس العلاقات التشاور والتراضي والمعروف والاحسان بين الزوجين فحسب وإنما بين كل أفراد الأسرة من أب وأم وولد وبنت وللمجتمع المسلم ، عقيدته وشريعته وأخلاقه التى يجب ان ترعى من الفرد فأذا ما حاول الخروج عليها فللمجتمع حق ردعه .. وواجب الجماعة نحو الفرد .

١ ـ حماية الضعفاء ورعاية مصالحهم .

٢ ـ كفاية الفقراء ورعايتهم « أيهما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى »[٢٩] .

٣ ـ الحفاظ على وحدة الجماعة يرد المتنازع فيه الى الله .

٤ ـ ارتكاز القيادة على العدل .

٥ ـ للفرد حق الملك بما لا يتناقض مع الشرع ولا حبس المال عن التداول ولا احتجاز ما لا يمكن احتجازه فالناس شركاء في الماء والكلأ والنار .

هذه الصورة الرئيسية للمجتمع المسلم ، مجتمع تحكمه العقيدة وشريعة لا تلغى ذاتية الفرد ، مجتمع يدفع بالحياة الى التجدد والنمو

---

(٢٨) « تفسير ابن كثير » ص ٦ ، ص ٥٣٠ .

(٢٩) مسند الامام أحمد ، حديث رقم ٤٨٨٠ نشر أحمد شاكر .

والترقي ويدفع بطاقات افراده الى الانشاء والانطلاق والارتفاع ، مجتمع أخلاقي قبل كل شيء ، يحترم الانسان ويصون شرفه وكرامته « يأخذ بالعلم الصحيح ويفتح على كل الحضارات مقتبساً منها ما هو حق وخيرٌ [٣٠] مجتمع يهضم كل ما تنتجه عبقرية الانسان الخلاقة حيثما كانت ، مجتمع تتسم حضارته بالشمول فهي روحٌ وريحان . وعمران وتجارة وصناعة ، وحضارة قانونية وفلسفية وعلمية وأدبية في الوقت نفسه[٣١] .

* **من خلال ما سبق نستطيع ان نقرر :**

١ ـ التربية عملية اكتساب للخبرة وتغيير مرغوب في السلوك .

٢ ـ الكون كل ما عدا الله من مادة وروح خلق في حركة وتغير مستمرين ، ويسير في حركته وفق قواعد محددة تخضع لارادة الله الذى ربط بين السبب والمسبب .

٣ ـ الكون مسخر للانسان وهو حادث محدثه هو الله المتصف بكل كمال .

٤ ـ الانسان أكرم ما في الكون جسم وعقل وروح يتأثر في حياته بعوامل الفطرة والوراثة والبيئة حسب إرادة الله .

٥ ـ له دوافعه وحاجاته وذو طبيعة مرنة ولا يستوى أفراده .

٦ ـ المجتمع مجموعة الأفراد وللمجتمع الاسلامى ما يميزه عن غيره من المجتمعات ، أساس بنائه الايمان وخير أساس لتقدمه هو العلم وهو في تغير مستمر .

٧ ـ للفرد فيه أهميته وللأسرة دورها .

٨ ـ أمة الاسلام رسم الحياة النهائية المتطورة الراقية للفرد وللأسرة وللمجتمع .

---

(٣٠) « التربية الاسلامية في القرن الرابع » ص ٤٩ ـ مرجع سابق ـ

(٣١) محمد فاضل الجمالي : « نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الاسلامي » ـ التونسية للنشر ـ ١٩٧٢ ص ١٣ ، ١٥ .

ثانياً : التربيـــة في الاســـــلام :

[أ] الموقـع والطبيـعة والهــدف .

[ب] الميـــــادين .

[جـ] الطـــــرق .

التربيـة في الاسـلام

الموقع ـ والطبيعـة ـ والهـدف

لقد كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم تأصيلاً للفكر التربوي في الأمة المسلمة خلصها من شوائب الجاهلية التى وجهت عنـايتها للجسـد والشهوة وأقفرت الجانب الانساني في حياة الانسان ولقد شكل كتـاب الله وسنة رسوله وسيرته نظاماً تربوياً فذاً لتربية الانسان مما يوجب الرجعة الى ذلك الاطار لاصلاح ما أفسد الدهر وعلاجـاً لأمراضنـا الاجتماعيـة التى أبادت أمتنا وقهرت فيها روح الكفاح والنقاء فأصبحنا مسخاً لحضارات زائفة وصرنا كما قيل :

ومـن الـعـجـائـب والـعـجـائـب جمـةً
قـرب الـدواء ومـا الـيـه وصـول
كـالعيس في البيـداء يقتلهـا الـظمـأ
والمـاء فـوق ظـهـورهـا محـمـول

فموقع التربية في الاسلام أنها واكبت ظهوره واعتمد عليها في بناء أمة ازدهرت حضارتها وانتشرت عقيـدتها واتسعت رقعتهـا فشرقت وغـربت وأنقذت الانسانية من ظلمات الجهل وبراثن الشرك بمنهج تربوي متكامل لا يغادر صغيرة ولا كبيرةً إلا أحصاها .

وهو بحمد الله منهجٌ فريد عن كل مناهج الأرض ، فريد في شموله ، فريد في يقظته ، فريد في دقته وفريد في أثره في نفس الانسان .. لقد مكن الأمة من الحياة الكريمة ـ رغم عاديات الزمن ـ فظلت مسلمة بفضل تربيتها على هذا النهج القوى ولأن تربيتها نبعت من إيمانها فتأثرت به وآثرته .

* **طبيعة التربيـة الاسـلامية :**

لم تقتصر التربية الاسلامية على التلقين للتعاليم الاسلامية في الجانب الاعتقادي . وكفى أو المعاملات وكفى أو تعليم الناشئة المبادىء الأخلاقية .. اذ ان الدين الاسلامي هو الحياة فلا بد ان تكون التربية الاسلاميـة هي الحياة أيضاً فالتربية الاسلامية منهج كامل للحياة وللنظام التعليمي بكامل مكوناته لانها .

١ ـ تضم جميع نواحى الانسان .

٢ ـ تتناول الدنيا والآخرة .

٣ ـ تنمى جميع العلاقات في الانسان[٣٢]

٤ ـ انها مستمرة فالانسان فيها إما معلم أو متعلم طول حياته « فالحياة كلها تربى الانسان ، فليس المعلم وحده هـو المربى ولا في المـدرسة وحدها يتربى[٣٣] وحينما طبق هذا المنهج خرج للحياة شباباً ورجالاً كانوا كما قيل فيهم :

رجـالٌ إن همـوا ابتسـموا لمـرضى
لـقيـت مـن ابتسـامـتهـم طبـيبـا

---

(٣٢) « فلسفة التربية » ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٨ بتصرف .

(٣٣) د . محمد فاضل الجمالي « فلسفة تربوية متجددة » ـ بيروت ـ ١٩٥٦ م ص ٤٩ .

وان نـظروا السيـك وانـت عـاصٍ
رجـعـت بمـدهـم عـبـداً مـنـيـبـا
وان نـظروا الـيـك وأنـت عـارٍ
وجـدت من الـتـقى ثـوبـاً قـشـيـبـا
همـوا اتبعـوا الشـريعـة في خـطاهـا
فـألـقـوا مـا نـضـيـق بـه رحـيـبـا
فـمـدوا ظـلهـا شـرقـاً وغـربـاً
وخـاضـوا الحـجـر واعتـنقـوا الـلهيـبـا

* أهـداف التربية الاسـلامية :

تعتمد الأهداف في التربية في الاسلام على قيم أسـاسية وقيم فـرعية متدرجة ومتداخله مع القيم الأساسية وتندرج القيم الأسلامية تحت فئتين :

● [الفئة الأولى] :

قيم روحية تتعلق بالله تبارك وتعالى وتتعلق به قيم « الايمان به ايماناً يجعل المسلم في حالة يقين مطلق بـالوحـدانية[٣٤] فيجعـل المسلم عمله لله ويخلص قلبه من هم الدنيا ويتوجه بكليته الى خالقه بالمراقبة والاقبال بكنه الهمة والتسليم المطلق له وتنبع بقية القيم من هذه القيمة

● [الفئة الثانية] :

قيم يعالج فيها الانسان شئون الحياة وفق منهج الله « فيمارس الأسباب ويباشر فيها ما تقتضيه بشريته »[٣٥] ، وتتدرج القيم المندرجة تحت هذه الفئة الى قيم فردية ـ واجتماعية .

---

(٣٤) صابر طعيمه : « المعرفة في منهج القرآن » ـ دار الجيل ـ بيروت « بدون تاريخ » ص ٢٨٨ .

(٣٥) « تفسير ابن باديس » مجمع محمد الصالح رمضان ، توفيق محمد شاهين ، طبعة ثانية ـ دار الفكر ـ ١٩٧١ م ص ٣٣ .

- **فالفرديـة** : عقلية منشؤهـا الحياة العقليـة في جو القـرآن وفي خطوط توجيهاته بالنظر .
- **أخـلاقيـة** : تتناول الجـانب الأخلاقي في الانسـان في أوامر القـرآن الأخلاقية له وتمثله صفات الحق تبارك وتعالى .
- **نفسـيـة** : تتناول فكرة الانسان عن نفسه ومسئوليته عن أخذها الى الهدى والبعد بها عن الردى والسيطرة على دوافعها سيطرة كاملة .
- **ماديـة** : ما يتناوله الانسان في حياته من مأكل وملبس وملك .
- **جماليـة** : ينظر الانسان فيها الى تناسق الصنعة الدالة عـلى كمال القدرة الالهية متأصلاً ابداع الخالق العظيم في كـونه المنظـور وكونـه المسطور .
- **الاجتماعية** : تتناول كل مـا يحتاجـه الانسان في ارتبـاطه بـالآخرين ويعـرض الاسلام ألـواناً من القيم الاجتمـاعيـة كفيلـة بـالاستقـرار الاجتماعي والتطور البناء في الزواج ، وفي العلاقات الأسرية ، وفي الاخاء وفي العلاقات بالناس أياً كانوا .

● **والملاحـظ** : ان الاطار الكلي الشامل المتكامل لكل هذه القيم هو العقيدة الاسلامية الالهية .

وعلى أساس هذه القيم يمكن ان نحدد أهداف التربية في الاسلام كما يلي :

١ ـ أهـداف عامة ملخصـة في :

ـ وظيفة الانسان في الأرض وهي عبادة الله والعبادة أوسع مدلولاً من أداء الشعائر فهي تتمثل في أمرين .

[أ] استقرار معنى عبودية المخلوق لله في النفس .

[ب] التوجه الى الله بكل حركة في ضمير الانسان وفي سلوكه .

ـ **اذن** : فهدف التربية « أن يصير الانسان عابداً وذلك هو الهدف الكلي للتعليم والتربية في الاسلام »[٣٦] .

ان اعداد الانسان العابد الذي يفي بشروط الخلافة في الأرض مستخدماً في ذلك ما علمه الله تعالى له وما حباه به .

٢ ـ أهداف خاصة ويشترط فيها ان تكون :

[أ] انعكاساً لتصور الاسلام .

[ب] مراعية لظروف المجتمع .

[جـ] مسايرة لروح العصر في غير تعارض مع الأهداف العامة .

[د] مراعية لمراحل النمو في الانسان .

[هـ] مراعية للتطور التربوي في ضوء العقيدة ومن خلالها .

على أن تسهم الأهداف الخاصة في بناء المسلم العابد الصالح « مع مراعاة الظروف الخاصة كالأهداف الاجتماعية والفكرية » وداخل كل نوع من الأهداف الخاصة السابقة تندرج أهداف خاصة أخرى « فللهدف الخاص بانماء الفكر أهداف خاصة تستخدم في سبيل الهدف العام ولكن مراحل النمو الانساني المختلفة لها أهدافها ومطالبها الخاصة » .. ففي المراحل الأولى من حياة الفرد تغلب عليه النظرة الحسية ، فاذا ما نضج وظهرت قدرته على التفكير المجرد فان أهداف التربية تختلف عن سابقتها وهكذا[٣٧] .

---

(٣٦) د . عبد الفتاح جلال « من الأصول التربوية في الاسلام » سرس الليان ١٩٧٧ ص ٧٩ .

(٣٧) « فلسفة التربية الاسلامية في القرآن الكريم » د . على خليل ـ مرجع سابق ـ ص ٥٤ .

ميادين التربية الاسلامية

التربية في الاسلام شاملة ، متكاملة ، متوازنة ، تشمل كل جوانب المسلم وهي مستمرة باستمرار الحياة وتقوم بها الجماعة المسلمة في سبيل تطبيع أفرادها على ما تدين به من مبادىء فما هي ميادينها ؟!

« ان ميادينها هي نفس ميادين القيم ـ الاسلامية ـ التى تشكل جوانب شخصية المسلم[٣٨] .

١ ـ التربية الجسمية :

يعرض الاسلام بالعناية بالجسد والاهتمام به من إطعام وإراحة وتنظيف ويوصى بالأخذ بنصيب من المتاع الحسن الطيب الحلال في سبيل توفير الطاقة الحيوية اللازمة لتحقيق أهداف الحياة .

ونظرة الاسلام الى الجسد محاطة بأدب رفيع سامى التعبير يجعل من الانسان انساناً لا حيواناً ولذلك مدلول تربوى هام توجزه في النقاط التالية نظراً لعدم التمكن من بسط ذلك .

١ ـ فالعناية بالجسد سبيل لتكوين الانسان الصالح ، والمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف .

٢ ـ والعناية بالرياضة ثابتة في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ والاهتمام بالجانب الصحي وقاية وعلاجاً يوليه الاسلام اهتماماً كبيراً .

---

(٣٨) « فلسفة التربية في القرآن » ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٨ .

٤ ـ والهدف من اهتمام الاسلام بالتربية الجسدية التنمية الكاملة ففي الجسم السليم عقل سليم وخلق قويم .

٥ ـ ومنبع ذلك ان الجسد غاية لا وسيلة فهو أداة تحقيق الخلافة عن الله في الأرض .

٦ ـ الربط بين الجانب الجسدي وبقية الجوانب الأخرى فالتنمية كل متشابك .

وهكذا يهدف الاسلام الى تنمية الشخصية المسلمة السوية الكاملة ولو أخذنا عبادة واحدة كالصلاة لوجدنا فيها تربية الجسد بالحركة والنظافة الى تربية العقل والنفس والروح ، فالعقل يفكر ويتدبر والروح تسبح وتتذوق ، ويماثلها الصوم ، والحج فكلها عبادات تتضمن التربية للجسد والتربية للعقل والتربية للروح .

٢ ـ التربية العقلية :

الانسان موضوع التربية وقيمة المصدر التربوي يمكن ان تقاس بمدى احترامه لعقل الانسان حيث انه الأداة التي بها يفهم ويتأمل ويفكر ويتعلم[٣٩] « فالعقل قوة مدركةٌ في الانسان خلقها الله فيه ليكون مسئولاً عن أعماله »[٤٠] « فهو طريق الانسان الى الله »[٤١] وتكريم الاسلام للعقل تكريم لا يحد فقد ناط به التبعة والتكاليف فما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل فبه يحاسب وبه يعاتب وبه يعاقب .. أما تسمع قول الفجار في النار :

* ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾[٤٢] .

---

(٣٩) د . سعيد اسماعيل ، « اصول التربية الاسلامية » ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨ .

(٤٠) د . على خليل ، « فلسفة التربية في القرآن » ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٦ .

(٤١) د . عبد الغني عبود « الانسان في الاسلام » ـ مرجع سابق ـ ص ٦٩ .

(٤٢) سورة الملك آية ١٠ .

● **وظيفـــة العقـــل :**

١ ـ التفكير في الكون :

* ﴿ فلينظر الانسان مم خلق ﴾[٤٣]

* ﴿ أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت ﴾[٤٤]

* ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[٤٥] .

٢ ـ في المعاملات بما يقنعه بصحة العلل التى نيطت بهـا الأحكام فـإذ ما وصل فبنعمة الله وإلا فهو لم يصل بعد الى الدرجة التى تؤهلـه لذلك .

٣ ـ التفكير العلمي وقد كتب الأستاذ عباس العقاد في ذلك كتاباً عنوانه « التفكير فريضة اسلامية » نشرته دار الهلال بالقاهرة[٤٦]

● **والمدلول التربوي لذلك :**

١ ـ لا ظن ولا تخمين ولا تبعية في الفكر لانسان .

٢ ـ التجدد فكل يوم تشرق شمسه لابد أن تشرق بالاستزاده العلمية .

٣ ـ حـرية البحث في نطـاق امكانـات العقل وقـد أراحه الله ممـا فـوق طاقته فقدمه له .

٤ ـ تنمية قدرة التخيل لاعادة بناء ما يحس بناءاً داخلياً .

٥ ـ استخدام الحواسَ لتربية الفكر فذو العقل يشقى في النعيم بعقله .

٦ ـ واذا كان هذا يشترك فيه التربية عموماً فان التربية الاسلامية تتبنى

---

(٤٣) سورة الطارق آية ٥ . (٤٤) الغاشية آية ١٧ . (٤٥) سورة الروم آية ٢١ .

(٤٦) فالله تبارك وتعالى يقول وان اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ـ سورة النحل آية ٧٨ فالانسان يولد لا علم له بشيء مزوداً بما يعلمه كل شيء فاستعمال الحواس ظاهرة أو باطنة واجب على الانسان وصولاً الى ما قدر الله له .

في الانسان تربية البصيرة ، فالتقوى مفتاح للعلوم :

* ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾[٤٧] .

فالاشراقات الالهية لها دور في بناء المعرفة وما قصة موسى مع العبد الصالح ـ وما قصة يوسف مع صاحبي السجن والملك ، الا نماذج رفيعة للتربية الاشراقية التى تعتبر مقاماً لم يبلغ درجته مرب في التربية المادية .

٧ ـ يدعو الاسلام الى القراءة الناقدة التى تسهم في تنقية الثقافة من المألوف فليست المعرفة إلا وثبة كيفية من المألوف الى الأرقى .

٨ ـ والاسلام يربى الانسان ليحيا في عصره مسلماً فجذوره تضرب في أعماق الزمن وتعطى أكلها كل حين باذن ربها فلا يكتم علماً ـ ولا يسرق فضلاً من ذويه ـ ولا يتبع الظن ـ ولا يماري في غير طائل : .

* ﴿ وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ﴾[٤٨] .

٩ ـ يسأل فيما يجهل :

* ﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾[٤٩] .

٣ ـ التربية العقائدية :

عقيدة الانسان هي ما يؤمن به ويراه عن اقتناع قلبي أكيد ، وعلى أساس هذا الايمان يذهب في حياته أي يسير ويسلك »[٥٠] والانسان طلعة يتطلع دائماً الى الغيب ويتلمس أسراره وأنواره وقد كفى الله الانسان مؤونة البحث في الغيبيات فقدم له العقيدة كاملة .

---

(٤٧) سورة البقرة آية ٢٨٢ (٤٨) سورة الحج اية ٦٨

(٤٩) سورة الأنبياء آية ٧ . (٥٠) صابر طعيمه : « المعرفة في منهج القرآن الكريم » ص ١٩٣

- الايمان بالله ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً .
- الايمان بالرسل والملائكة والكتب .
- الايمان القـــدر .
- الايمـان باليوم الآخر .

● **وبـــذلك :**

١ ـ أراح الانسان من البحث فيما لا طاقة له به .

٢ ـ صان بتربية العقيدة القيم فاستقرت بذلك نفس الانسان .

٣ ـ صانت الانسان من الضياع .

٤ ـ تحرر المجتمع الاسلامي والفرد المسلم بالعقيدة من الخوف .

فالحياة والموت بيد الله ـ والرزق بيد الله ـ والمركز الاجتماعي لا يقاس في العقيدة بما يقيس به الناس ولكن أكرمكم عند الله أتقاكم .

● **وبـــذلك :**

١ ـ يتوحد الاتجاه بتوحد العقيدة .

٢ ـ بالرغبة العقائدية يتربى الانسان تقليداً في الطفولة .. متعقلاً في كبره .

٣ ـ لا تعصب ولا عناد بل كل شيء بدليله .

٤ ـ تحرير الانسان من العبودية لغير الله ، والتمثل بصفات الله .

٤ ـ التربيـــة الأخـــلاقية :

الاسلام عقيدة وشريعة وأخـلاق ، فالعقيدة هى الايمـان ، والشريعة هي الاسلام ، والأخلاق هي الاحسان .. هي ان تعبد الله كأنك تراه .. ويوم ارتقى المسلمون الى هذا المستوى مقتدين بامام المربين صلى الله عليه وسلم كان مجتمعهم الاسلامى أنقى من الثوب الأبيض .

يوم ان تناولوا الحياة بأخلاقه الحية كان حاكمهم يقول : « اطيعونى ما أطعت الله فيكم » ، وجنديهم يقول : « ما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا ان يقتلنى هؤلاء » ، ويعزل القائد في أوج النصر فيمتثل ولا يتمرد ، ويحسن العامل ولا يوقع الشاب بأعراض الناس ولا تتبرج البنت لعرض مفاتنها .

● **وقد صنّفت الأخـــلاق الى**[٥١] :

١ ـ دينية موضوعها طاعة الله .

٢ ـ فردية موضوعها الانسان .

٣ ـ أسرية موضوعها الأسرة .

٤ ـ اجتماعية موضوعها العلاقات الاجتماعية .

٥ ـ دولية موضوعها الدولة والعلاقات الدولية .

وتتخلل الأخلاق في الاسلام كل مناشط الحياة فتنمى الوازع الداخلي ، وتزود بالمعرفة الأخلاقية غاية ووسيلة ، وتربى الارادة وتـدرب على تنفيـذ الخير وهى متكاملة تلبي كل حاجات الانسان ونرى تفيها التكامل بين العقل والنفس .. فتصدر الأخلاق عن طبع لا عن تكلف وتصنع وهى ملائمة تماماً لفطرة الانسان فليست تكلفه ما لا طـاقة لـه وليس فيها غلـو أو تطرف[٥٢] وأحكامها الخلقية أحكام ثابتة .

٥ ـ تربيـــة الوجـــدان :

للاسلام في تهذيب النفس « الوجـدان » باع طويل فالنفس اذا تركت دون تهذيب كانت فيها بدائية يصحبها عدم اتزان كالذي يغضب من أدنى

(٥١) هذا التصنيف نقلاً عن : د . محمد عبد الله دراز « دستور الأخلاق في القرآن » ـ مرجع سابق ـ .
(٥٢) راجع قصة النفر الذين ذهبوا للسؤال عن عبادة النبي فكأنهم تمالوها .

شيء والذى يفزع من صفير الطائر أو يرتاع من خبر أو يفرط في الضحك من شيء يسير ولكن بالتدريب والاستمرار والتخلق تكتسب النفس أخلاقاً جديدة وكل إنسان صالح لان يراض ويتخلق بخلق جديد مع تفاوت الناس في سرعة الاستجابة وفي بطئها[٥٣] والنفس في نظر الاسلام هي المحرك الذي يحرك الانسان الى تحقيق أهدافه[٥٤] وتنقسم قوى النفس الي :

١ ـ دوافع أولية وهي عامة ويولد الانسان مزوداً بها ويشترك فيها الانسان والحيوان ويتوقف عليها بقاء الحياة[٥٥] .

٢ ـ دوافع ثانوية : وهذه يتعلمها الانسان ويكتسبها نتيجة احتكاكه بغيره والدوافع عموماً لم تهمل في نظر الاسلام ولم تحطم وانما اقرها وعمل على تهذيبها .

بل ان المحرمات تباح أحياناً نتيجة للضرورات وتقدر الضرورة بقدرها ولأن الحياة والرزق والمركز بيد الله .. فان العواطف كلها ترتبط بالله تبارك وتعالى والقرآن يؤمن العواطف .

فلا خوف من انسان ولا من شيطان ولا من ملِكَ فلن يصيب الانسان الا ما كتبه له ربه :

* ﴿ قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا ﴾ .

ويشفع القرآن الذنب بالتوبة ليقى الانسان شر المرض النفسي .. « والقرآن يتحدث عن الفروق الفردية والنمو وغيرها من النواحى التى ما تزال بكراً »[٥٦] .

---

(٥٣) محمد علم الدين ، علم النفس وأثره في التربية الاسلامية نقلاً عن « الوعي الاسلامي سنة ١١ » عدد ١٣١ ذي القعدة ١٣٩٥ هـ . (٥٤) « فلسفة التربية في القرآن » ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٤

(٥٥) د . حامد الفقي « دراسات في سيكولوجية النمو » ـ عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧٤ م ص ١٦٦ .

(٥٦) بتصرف من كتاب فلسفة التربية ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٦ .

فتعمل التربية النفسية على : تربية الفرد الصالح ـ السوي ـ يتعقل المثير ثم يستجيب ـ على علاقة الحب وليس الكره ـ بلا انحراف نفسي ـ وتنمى الارادة الانسانية ـ وتخلص انسان من الوساوس والأمراض النفسية ـ تثير فيه الدافعية وتثير همته ـ وتنقى نيته .

٦ ـ **التربيـة الجمـالية** :

المسلم أمام الكون المسطور « **القـرآن** » والكون المنظور أمام لوحة فنية رائعة والاسلام يدرب الأحاسيس الانسانية ويفتحها على المشاهد الرائعة للكون من مجرات ونجوم وأرض وسماء وأقمار وما فيها من ألوان وأصوات وتدريب المتعلمين على إدراك هذه القيم الجمالية هدف إسلامي ووسيلة من وسائل الاسلام التربوية وميدان من ميادينه الخصبة ويبرز الجمال الكوني المسطور والمتطور في :

١ ـ قصص القرآن وتعبيراته الفنية .

٢ ـ العبادات وما فيها من تناسق بين الحركة والذوق الروحي .

٣ ـ التناسق في العلاقات بين الانسان والكون وبين أجزاء الكون وبين الانسان وخالقه .

٤ ـ تناسق الألوان في الزرع والجبال البيض والحمر والغرابيب السود والاختلاف والائتلاف في الناس والدواب والأنعام .

٥ ـ بهذا تنمى التربية الاسلامية الخبرة الجمالية لدى المتعلمين في شتى مجالات حياتهم .

- أدبيـة فى دراسة القـرآن .
- مادية فى دراسـة الكـون .

انها تهيء الامكانات البشرية للمسلم لكى يطبع فناناً لكنه فنان نقى له حاسة جمالية يفرق بها بين الغث والثمين وبين الرفيع والوضيع وبين المفيد وما لافائدة فيه .

والذوق صفة أصيلة في المسلم الحق يستطيع بها ان يتذوق ويتعامل مع الكون كله بدءاً من نفسه والى ان يصل الى خالقه المبدع العظيم : .

* ﴿ الذي خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى أخرج المرعى فجعله غثاءاً أحوى ﴾[٥٧] .

٧ ـ التربيـة الاجتمـاعية :

لكل مجتمع شكله وفى سبيل استمراريته فانه يشكل الأفراد وفق شكله وثقافته التى تميزه عن غيره وسبيله الى ذلك هو التربية فرسالة التربية تشكيل النشء وفق تصور المجتمع واعدادهم للقيام برسالتهم يعتمد على :

١ ـ القاعدة هى التوحيد والعمل الصالح وكل ما ينبع ضمن ذلك .

٢ ـ يلزم الاسلام بالزواج وتكوين الأسرة لمن استطاع الباءة .

٣ ـ العلاقات أساسها المودة والرحمة .

٤ ـ لكل من الفرد والمجتمع حقوق فلا يضار الفرد بالمجتمع ولا المجتمع بالفرد ، فعلى الفرد ان يلتزم بعقيدة المجتمع وشريعته ، ويتعاون معه ويتنافس في الخير وعلى المجتمع ان يقدم للفرد العلم والأمن والغذاء والعلاج .

---

(٥٧) سورة الأعلى آية ٢ وما بعدها .

وتعمل التربية الاجتماعية في الاسلام على الضبط الداخلي في داخل المسلم والضبط الخارجي في تشريع الله للفرد وللمجتمع .

ومن هنا فان الاسلام يعمل على :

١ ـ التنشئة الاجتماعية والتنمية الصالحة .

٢ ـ الاهتمام بالأسرة فيعد الفرد ليكون أباً صالحاً والبنت لتكون أماً صالحة لتربية نشء صالح جسدياً وعقلياً ونفسياً وصحياً واجتماعياً .. أو في عبارة موجزة (صالح دينياً) .. .

٣ ـ تولي الشباب عناية فائقة فالأطفال والشباب هم عدة المستقبل فما نصائح لقمان ومآيات الاستئذان سوى تربية للعادة وتزودهم بالمهارات الاجتماعية لكسب العيش وتربيتهم اقتصادياً فلا اسراف ولا تقتير والتعامل مع السلطة تعاملاً معتدلاً .

فهو يبدى رأيه دون جبن في نطاق الشورى لا تُضعف رأيه ولا تتجاهله وتنمى لديه عادات معينة مثل تقدير وجهات النظر الأخرى والتمسك بالحق واحترام حرية الآخرين .

وهكذا تتم من خلال هذه التربية مشاركة القيادة لحفظ المسلم من الأضرار مع الالتزام بالخط الأساسي للقرآن ومن خلال المشاركة يتم تدريب النشء على القيادة حتى اذا ما وجد الفرد في نفسه القدرة على القيادة في مجالٍ ما سأل الحاكم ان يمكنه من ذلك :

* ﴿ قال اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم ﴾[٥٨] .

غير ان ما ينفرد به القرآن الكريم والدين الاسلامي هو تربية الانسان العالمي الذى ينتمى لله لا لقرية ولا لدولة ، ولا لأمة وانما انسان يسهم في

---

(٥٨) سورة يوسف آية ٥٥ .

الحضارة الانسانية كلها فالناس كلهم عباد الله وخلفاء الله في الأرض ، ولما للناس من صلة بالله فهم جميعاً عباده وهم خلفاء من الله في الأرض فالتربية في الأسلام تربية على احترامهم جميعاً والعمل على خيرهم جميعاً .. انه يعمر ولا يدمر ، ويبنى ولا يهدم .. ويعلم ويُعلم ، لا يجهل ، ويجهل .

فهو الذوق وهو الانسانية وهو الرقي وهو اللبنة الصالحة لتكوين اسرة صالحة وأمة صالحة ، وعالم صالح وحضارة صالحة لدى الفرد الأصول العامة ومعه العقل المتفتح على العالم والخبرات التى يستخدمها لاسعاد البشرية كلها .. اذن فالتربية الاجتماعية الاسلامية تعنى اسرة صالحة وطفولة مرعية .. وشباباً ناضجاً ، واعتدالاً اقتصادياً وسياسياً وعالمياً .

طـــــرق التربيـــة

● كيف كان النبي صلى الآ عليه وسلم يربي الناشئة ؟ .

تعنى الطريقة في التربية مجموع الأنشطة والاجراءات التى يقوم بها المدرس « المربي » أو التى تبدو آثهارها على ما يتعلمه التلاميذ [٥٩] .

ومن أهم وسائل التربية القراءة والكتابة لأن ذلك هو نافذة الانسان على كل ثقافة ، لأن التربية إما أن يتلقى فيها الانسان وإما ان يعطى ، والتلقى والعطاء لا يتمان بدون القراءة والكتابة .

فمن لا يقرأ ـ لا يكتب ، ومن لا يقرأ ـ لا يستدخل ، ومن لا يكتب لا يمنـح .. ولـذلـك نـزل أول أمـر تكليفي ملـزم من السمـاء الى الأرض ﴿ اقـرأ ﴾ .

والالتزام التربوي ﴿ باسم ربـك ﴾ .

ولأن المعلم عالم ﴿ الذى خلق . خلق الانسان من علق ﴾ .

ولأن العطاء متواصل .. ﴿ إقرأ وربك الأكرم ﴾ .

وقد حدد الوسيلة التربوية ﴿ الذي علم بالقلم ﴾ وهو المنهج العلى الذي يرتبط فيه السبب بالمسبب .

وللنفح الذي لا يحد وما كان عطاء ربك محظورا ﴿ علم الانسان ما لم يعلم ﴾ [٦٠] .

---

(٥٩) أحمد حسين اللقاني ، برنس أحمد رضوان « تدريس المواد الاجتماعية » طبعة أولى ـ عالم الكتب ١٩٧٤ م ص ١٧٥

(٦٠) سور العلق آية ١ وما بعدها

ولقد أقسم الله تبارك وتعالي بالقلم منوهاً بقيمة الكتابة :

* ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾[٦١] .

ولقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم بديلاً لمن لم يستطع دفع الفدية من الأسرى تعليم عدد من الصحابة في مقابل ذلك .

ولم يقتصر الأمر على تعلم اللغة العربية وحدها بل أمر بعض الصحابة بأن يتعلم لغة اليهود لأنه لا يأمنهم على كتابه .. وبعد القراءة والكتابة تأتي بقية الطرق التى ربى بها النبى الناشئة .

وفي مناهج التربية ترتبط الوسائل « الطرق » والأهداف ارتباطاً كاملاً فلا يمكن تقويم الهدف من غير الوسيلة التى تؤدى الى تحقيقه ولا يمكن تقويم الوسائل بمعزل عن الأهداف[٦٢] .

ولا يوجد منهج تربوي له سعة منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وشموله أبداً ففي طرق التربية نجد سعة وشمولاً ودقة تبلغ حد الاعجاز وقد رأينا ان الأساس هو القراءة والكتابة .

● **التربية بالعمل** :

« فليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل » ـ واذا كان الدخول إلى الايمان هو الاعتقاد والنطق بكلمة لا إله إلا الله ، فان ترجمتها الى سلوك يتلخص فيما بقى من أركان الاسلام ومن ألوان التربية بالعمل ما يأتي .

---

(٦١) سورة القلم آية ١ وما بعدها

(٦٢) « فلسفة التربية في القرآن » د . على خليل ص ٢٠٩ ـ مرجع سابق ـ .

[أ] الصـــــلاة :

تقوية لارادته وطهارة لبدنة ونفسه وروحه ورياضة لجسمه وتعويد له على النظام .

من هنا أمر النبي صلى الله عليه وسلم ان نعلم أبناءنا الصلاة لسبع وان نضربهم عليها لعشر وان نفرق بينهم في المضاجع فاذا ما انقطع المسلم عن الكون واتجه الى المكون ـ اذا ما ترك النعمة واتجه المنعم ـ واذا ما ترك الخلق واتجه الى الخالق .

ففي كل خطره تربية ، وفي كل كلمة تربية ، وفي كل فكرة تربية منذ طهارة بدنه الى طهارة ثوبه ومكانه « **تربية صحية** » الى توجهه الى الله مكبراً « **تربية روحية** » الى قراءة القرآن متدبراً « **تربية عقلية** » الى ركوعه وسجوده « **تربية جسمية** » الى دعائه الله مخلصاً « **تربية وجدانية** » الى استراحته الى جناب الله وهي قمة الانصياع النفسي .

وآثرت الاكتفاء لأن ما ذكر في الصلاة اكثر من أن يروى في فرائضها وسننها ومستحباتها ومكروهاتها وفضلها وفضلها على وقتها بما يشعر بقيمة الوقت في حياة المسلم وتعدد الكتابة من سيرة الى سنة الى قرآن الى فقه الى اصول مما لا يسعه هذا البحث ولا تستوعبه هذه الأطروحة .

[ب] الزكـــــاة :

لقد كانت تربية النبي صلى الله عليه وسلم للناشئة على البذل مبكرة جداً ففي القرآن الكريم في العهد المكي حديث رائع رائد .. ففي أوائل السور التى نزلت بمكه في سورة البلد :

* ﴿ فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ﴾ .

* وفي سورة الحاقـة : ﴿ خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلةٍ ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه : انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين ﴾ .

* وفي سورة الماعون : ﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ﴾ .

الى غيرها من السـور .

وفي العهد المدنى وردت الآيات التى حددت :

١ ـ المال الذي تجب فيه الزكاة .

٢ ـ الفرد الذى تجب عليه الزكاة .

٣ ـ قـدر الزكـاة .

وبذلك انفرد الاسلام بنظام للزكاة هو في صميمه من أرقى النظم التى عرفها العالم والوجود الانساني كله .

وتربية الناشئة بالزكاة لها سماتها ، فهى تربى النشء على المساواة والاخاء بالعمل ، بمعنى ان الصلاة تربي على المساواة والاخاء وتترجم الزكاة المساواة والاخاء الى سلوك واقعى يسير مع المسلم في حياته يعلم البذل والكرم فيطعم الطعام على حبه ويؤثر على نفسه ولو كانت به خصاصه .

والزكاة تربية للروح اذ هى تطهير القلب من الشح : .

* ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .

فتربية الضمير على المواساة والبذل وربط ذلك بالايمان ربطـاً يجعلها فرضاً على المؤمن وتعديل سلوك الانسان الذى ركزت فى طبيعته حب المال على الجود والسخاء وتعديل سلـوك حب الظهور الى التصـدق في الخفاء حتى

لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه و « تحويل غريزة حب الظهور »[٦٣] الى البذل بينه وبين الله ، و « مكافحة النزعة المادية[٦٤] في حياة المسلم مما يعطى التربية بالزكاة طابعاً اجتماعياً خاصاً هو ان الناس شركاء في الخير فلا يوجد في مجتمع المسلمين فقير حاقد ولا غنى شحيح ، وانما التكافل والتضامن والتواصى بالخير والتواسى فى النوائب .

[جـ] الصيـــــام :

للاسلام في تربية الارادة منهج فذ وفريد فهو يربيها في ظلال الحظر . تدريباً ربانياً للارادة على ان تفعل أو لا تفعل فتتحمل المشاق راضية مرضية مراقبة لربها مأمورة بأوامره بلا سلطان لأي انسان وهذه سمة لا توجد في أية ملة ولا في أي نحلة .

فليس هناك رقيب أو رئيس عمل يمسك سوطاً يلهب به ظهر الانسان ليعمل إنما هناك الرقيب الأعلى الذى يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها .

فالأثر التربوي للصيام يتلخص في تربيـة الروح وتـربية الخلق حيث يتعود الانسان على ضبط نفسه ومكافحة شهواته وبذلك تتقوى الارادة فيه وهي تربية اجتماعية اذ يجعل الفرد يفكر في حاجة الفقير والمحتاج وفيه شعورٌ بالمساواة والاخاء وفيه تربية جسدية اذ يروض الجسم ويقويه ويجعله قادراً على تحمل المشاق فضلاً عن الجوع والعطش[٦٥] .

---

(٦٣) « منهج التربية الاسلامية » (محمد قطب) جـ ١ ـ دار الشروق ـ ص ١٢ .

(٦٤) الشيخ نديم الجسر « القرآن في التربية الاسلامية » المؤتمر الثالث لمجمع البحوث ص ١٨٤

(٦٥) د . محمد فاضل الجمالي : « نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الاسلامي » ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٦ .

واستخدام الاسلام لهذه الطريقة استخدام تربوي ذو فعالية لان الصيام بصفة خاصة يُدرَّب عليه المسلمون منذ الصغر وتتلقى الدروس الجليلة منذ باكورة حياتها في ميعة الصبا وشرخ الشباب وتدريب على الرحمة بالخلق اذ يسر عليهم الحق تبارك وتعالى : .

* ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر . ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾[٦٦] .

ولذلك تجد الطفل تدفعه الفطرة الى حب الصوم من صغره حتى قبل استطاعته ، يسر بلا عسر وصبر بلا ضجر ، وتقوية لارادة الانسان وهو رائد الحياة .

[د] الحـــــج :

حيث تمتلأ الجوانب بالخشوع والخشية فتتربى الروح وتتغذى العاطفة وانها للحظات رائعة يوم يقف الانسان في مشاهد الاسلام والمشاعر في الطواف حول البيت وفي عرفات وفي السعى وفي رمى الجمار وهو دامع العين راجى العفو والمغفرة واستجابة دعائه ، ملبياً مكبراً قانتاً ذاكراً صابراً شاكراً .

ويتلقى الفكر ، حيث يجول الفكر في كل مشهد من مشاهد الحج جامعاً بين القديم والجديد مقارناً بين جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام فها هى الأرض التى أنبت الله فيها الاسلام وها هى المواقع التى شهدت الصراع القاسى والمرير بين الاسلام والكفر بشتى أشكاله وصوره .

---

(٦٦) « فلسفة التربية في القرآن » ـ مرجع سابق ـ ص ٧١٥ .

ها هنا صـلى ، صلى الله عليـه وسلم .

ها هنا ناجى ، صلى الله عليـه وسلم .

ها هنا بكـى ، صـلى الله عليه وسلم .

ها هنادعا راجياً صلى الله عليه وسلم .

ها هنا قاتل وانتصر ، صلى الله عليه وسلم .

ها هنا نال منه العدو فما تخاذل .

تربية جسمية حيث يتحمل مشقـة السفر والطـواف والسعى والمبيت بمنى والوقوف بعرفه ورمي الجمار .

● **تربية للسلام :**

فبمجرد احرامه يدخل مع نفسه في أمن فلا يجوز له تقليم اظفر ولا قص شعره ولا خلع ضرس فاذا ما دخل منطقة الاحرام المحدد فهو أمن مع الناس فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، ودخل في أمن مع النبات والحيوان فلا صيد لطير ولا قلع لزرع فإذا ما بدأ الطواف دخل في أمن مـع الجماد فسلم على الحجر الأسود عند بـداية الطـواف الى مافي الحـج من تربيـة اجتماعية حيث يتلاقى الناس من كل فج عميق إلى مافيه من تربية إقتصادية ليشهدوا منافع لهم وتربية كونية حيث التأمل في ليالي الحج وأيامه والاقامة والسفر فيم يحف بهم من جبال بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود .

* **التربية بالجهاد :**

من أجمع ألوان التربية بالعمل التربية بالجهاد فلا تقتصر على ميدان القتال فحسب وانما تمتد الى جهاد النفس والى جهاد الفكر والى جهاد العدو ، وتتسع الى جميع الأعمار .

ان التربية تملؤ جوانح المسلم بالربانية فاذا ما امتلأت نفسه بها فاضها على الآخرين أخذاً بيدهم الى الله وهو المنهج الذي ذاق المسلم حلاوة الانتظام فيه .

● **والجهاد يربي المسلم على :**

[أ] **التقـوى** : فمن وصايا عمر رضى الله عنه « عليكم بتقوى الله فان تقوى الله أقـوى المكيدة في الحـرب ، وأعظم العدة عـلى العـدو ، وانما ينصر المسلمـون بفضل طـاعتهم لله ومعصية عدوهم له ، وإلا لم تكن لهم بعدوهم طاقة . فان عـدونا ليس كعدوهم وعدتنا ليست كعدتهم » .

وقد كان من وصية عمر رضي الله عنه لسعد بن أبي وقاص : « إن ذنوب الجيش أشد عليه من عدوه » .

[ب] **اخلاص النية** : فالجهاد عنده ليس للذكـر ولا للمغنم وإنما يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا .

وهو لا يقاتل ليقال انه شجاع بـل ليعلى صـرح الايمان وليحظى بثواب الله يوم القيامة .

[جـ] **الصـبر** : فلابد من الصبر والمصابرة والمرابطة .

[د] **اليقظـة** : الدائمة والحذر وعدم الاسترخاء ، والاعداد للعدو ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل لنرهب به العدو فلا يفكر في الاعتداء على المسلمـين وليحيا المسلمـون في أمن وليحطم المسلمون كل قوة تقف في سبيل الدعوة والاسلام بهذه المرابطة يتيح للمسلمين فرصة التدريب المستمر وليس أثر ذلك مقصوراً على المواقع الحربية وانما يمتد أثره وقائياً فيـرهبنا من نعلم عدواته ومن لا نعلم .

[هـ] **ذكر الله** : وهى من أسمى انواع التربية الروحية التى يتضمنها الجهاد :

* ﴿ **يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾ (٦٧) .

[و] التربية على الطاعة والمناصحة : لأولى الأمر ولقوانين الجندية دون ان يغل عليها قلب مؤمن .

١ ـ فلا قتال لا مرأة ولا شيخ ولا صبي .

٢ ـ ولا اتباع لمدبر .

٣ ـ ولا قتل لمن ألقى السلاح :

* ﴿ **فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** ﴾ (٦٨) .

فالجهاد تربية على الطاعة وعلى النصح وعلى الصبر ، وقد كانت مسارعة الشباب للانضمام الي صفوف المجاهدين تفوق الوصف حتى أصبحت مضرب الأمثال في التاريخ ، وحينما أجاز النبي صلى الله عليه وسلم صبياً ومنع آخر وقف يلح الآخر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأخذه لانه أخذ من هو دونه فانه يصرع من أخذ فتصارعا أمام النبي فصرع الذى لم يؤخذ من أجازه النبى فأجازه النبى .! .

ويكفي دليلاً على تربية النبى الناشئة على الجهاد وبالجهاد ان النبى صلى الله عليه وسلم انتقل الى جوار ربه راضياً مرضياً وقد جهز جيشاً جراراً

---

(٦٧) حديث القرآن عن الصيام في سورة البقرة من ١٨٣ / ١٨٥ .

(٦٨) سورة الأنفال آية ٤٥ .

قائده ناشىء فتى وهو « أسامة بن زيد » رضى الله تبارك وتعالى عنه وقد ألح كبار الصحابة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر أن لا يخرج الجيش فأبى ، ورجوه للمرة الثانية أن يولى الجيش غير أسامة فقال ثكلتكم امهاتكم كيف يوليه رسول الله صلى عليه وسلم وأعزله بل بلغ من تكريم الناشئة المجاهدين ان سار أبو بكر في رحاب أسامة يوصيه .

ومن هنا نعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يربي الناشئة تربية عملية وهى التربية التى يطلق عليها الاتحاد السوفيتي الآن التربية « البولي تكنيكية » حيث التربية في حقل التجارب لا على موائد المدارس وهى مسبوقة في الاسلام وقد كان صلى الله عليه وسلم يربي بالعمل في كل مجالات الحياة في السلم وفي الحرب .

- فى العبادات وفي المعاملات .
- في العادات الاجتماعية .
- في الآداب النفسيـــة .

يرى صلى الله عليه وسلم غلاماً تطيش يده في اناء الطعام فيقول له صلى الله عليه وسلم يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك .

ويخبرنا ذلك الغلام ان هذه صارت عادته بعد ذلك طول حياته .

ان نظريات التربية التى اجريت تجاربها على الفئران والقرود مازالت تدور حول الفئران والقرود ولم ترق بعد للاستخدام في دنيا الانسان .

فقد عاش بافلوف وثورندايك وجثرى وواطسن وغيرهم بين الفئران والقرود وماتوا بين الفئران والقرود .

أما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد ربى :

شبـاباً نـاضجاً بيديه ، بـدد ظلمـة الأمس
وأدرك أنـه في الكـون ، لـن يعيـا ولن يمسى
يسرك في لظى الميـدان ، أو في حانـة الدرس
اذا صحت بـه لبى وجـاد لـديك بـالنفس

٣ ـ التربية باستخدام العقل :

نعى القرآن الكريم على قوم أنهم لم يستخدموا عقـولهم واقتفوا أثـر آبائهم أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون فكيف يقلدونهم .

ولقد منح الله الانسان من الخصائص ما أهله ليفهم نفسه ومن حوله ويتلقى عن ربه ما يستحق به أن يكون خليفة عن الله في الأرض وجعلت ميزته الأصلية أن يوجه اليه الخطاب ويرسل اليه الرسل والأنبياء .

ومن لدن آدم عليه السلام وقافلة البشرية تنتقل من حال الى حال ورسل الله تترى حتى تم نضجها واستوى عودها واستعدت لتتلقى كلمة الله الأخيرة فكانت رسالة الاسلام والاسلام دين العقل يخاطبه ويحترمه ويوقظ فيه جانب الادراك والتفكير ومشاعر الوجـدان والاحساس يتـأمل ويقلب الأمـر على وجوهه ويستخرج منه بواطنه وأسراره ، ويبنى عليها نتائجه وأحكامه .

لقد جنب الاسلام العقل كل مؤثرات الجمود وضيق النظر وكل عوامل الانحـراف والتعطيل عن أداء مهمتـه ، ورفع المـوانع والعقبـات الكـأداء والحجب التى تحول بين الانسان والتفكير السليم .

- فأنقذهم من الألف الثقيل لموروثات الآباء والأجداد .
- وأنقذهم من الجمود وضيق النظر والتعصب الأعمى .

- وأنقذهم من الجهل والحكم على الشيء بغير علم ولا هـدى ولا كتاب منير .
- وأنقذهم من الهوى والغفلة والستار الكثيف الذى يحجب رؤية الآيات والدلائل وتعطيل نوافذ الحس وملكات الادراك .
- وجعل التماس الايمان من خلال الآيات في الكون .
- واذا هدوا الى الايمان فعليهم ان يمحصوا الحق ووسّع التفكـير :

[في النفس ـ فالعالم العلوي ـ ثم الأرض ـ وفي آلاء الله ونعمه عليك ـ ووحدة القانون الالهى في الأنفس ـ والسماء والأرض ـ وفي فناء الكون وفي قصص السابقين على مثل هذا المستوى الرفيع ربى النبى صلى الله عليه وسلم الناشئة] .

٤ ـ التربية بالقدوة والصداقة :

« لابد من قلب انسان يحمل المنهج ويحوله ال حقيقة لكى يعرف الناس أنه حق ثم يتبعوه [٦٩] ، لأن من أهم أعمدة الايمان بناؤه على التطبيق السليم والتطبيق ان لم يكن يسيراً وكان عسيراً كان تكليفاً بما لا يطاق [٧٠] .

ومن أهم المؤثرات التى تؤثر في الانسان وفي تربيته القدوة التى يقتدى بها الطفل أو الانسان ثم الصداقات التى يكونها فهذه قد تبنى المرء ان كانت صالحة خيره وقد تهدمه ان كانت طالحة [٧١] .

---

(٦٩) سورة النساء آية ٩٠ .

(٧٠) محمد قطب « منهج التربية الاسلامية » ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ .

(٧١) محمد علم الدين « التربية الاسلامية » ص ٥١ .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم خير قدوة يقتدي بها المسلمون في جميع النواحى الأخلاقية والتشريعية والعقائدية فهو لا يتخلف عن أمر أمرهم ولا يخالفهم الى ما نهاهم عنه ولذلك ركز القرآن الكريم على الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم .. فللمسلمين في رسول الله اسوة حسنه لانه صلى الله عليه وسلم يمثل المنهج الذي يعلمه ويربى به ويربى على هديه بلا تناقض بين القول والعمل فاتخذه المتعلمون قدوة لهم فاقتدوا به في كل شيء في حركاته .. وسكناته وطريقة كلامه وأقواله وافعاله وتمثلوا بمبادئه وأخلاقه صلى الله عليه وسلم وسجلوا للتاريخ كل شيء عنه حتى يتأسى الناس به .

ولقد دلت دراسات علم النفس الاجتماعى على ان للقدوة وللصحبة أثراً بالغاً في نمو الطفل النفسى والاجتماعى فهي تؤثر في عاداته وقيمه واتجاهاته[٧٢] ولهذا يركز الاسلام على التربية بها واعتبارها طريقاً من طرق التربية ، فيقول الحق تبارك وتعالى :[٧٣]

* ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا ﴾[٧٤] .

ولقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم مثلاً للجليس الصالح وللجليس السوء ببائع المسك ونافخ الكير .

فالأول إما ان يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، والثانى إما أن تحرقك ناره أو تنالك ريحه .

فللقدوة أثرها وللصحبة قوتها التربوية في حياة الناس .

---

(٧٢) د . محمد فاضل الجمالي « نحو توحيد الفكر التربوي » ص ١١٢ .

(٧٣) د . أحمد عبد العزيز سلام ، د . عبد السلام عبد القادر : « علم النفس الاجتماعي » ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٧٢ ص ١٠٧ .

(٧٤) سورة الفرقان آية ٢٧ ، ٢٨ .

ولقد كان شباب الاسلام وناشئيه في عصر النبى وصحبه الكرام أحرص ما يكون على الاتباع والمحاكاة للنبى صلى الله عليه وسلم وتنقل لنا الأحاديث الغزيرة .. أنهم كانوا يقلدونه : .

- **في وضوئه كما في حديث عثمان .**
- **في صـــلاته .**
- **في قراءته للقرآن .**
- **في قيـامه .**
- **في جلوسه .**
- **في جهاده .**
- **في كرمـه .**
- **في زهـده .**
- **في صلابته في الحق .**
- **في أمانته .**
- **في وفائـه .**
- **في صبره .**
- **في مناسك الحج .. الخ .**

التربية عن طريق التواصي بالخير :

مما سبق في نظرة الاسلام الى الكون والانسـان والمجتمع اثبتنـا أن الانسان في الاسلام ذو ارادة حرة وأنه عضو في مجتمع وأن حريته محددة بصالح المجتمع المسلم .

وعليه فالاسلام يفرض طريق التذكير كطريق تربوى يتأتى بين جانبين انسان مع اخيه الانسان لدفع عجلة الحياة[٧٥] فكلنا يعلم وكلنا يتعلم .

وهي من أهم الطرق التربوية التى نسمع فيها رأى التلميذ ونلمس دوره في العملية التربوية .

وفي قصة الغلام الذي قارن نفسه بمن أجازه الرسول صلى الله عليه وسلم « كيف رده وأجاز الآخر مع أنه يصرعه » .. نزول المربي الى مستوى الاهتمامات الشبابية وديمقراطية التربية وتمكين للفتى من ابراز مواهبه في صقل التجربة فأباح لهما النبى المصارعة فتصارعا فصرع من رُدَّ من أجيز وهنا أجازه النبى صلى الله عليه وسلم عن نجاح في الاختبار فالتربية بالتواصى لا تجعل التربية وقفاً على المربى بل للتلميذ دوره ورأيه .. ولولى الأمر دوره ورأيه ويكون للمجتمع كله سلطة التوجيه للتربية فلا ديكتاتورية لفرد وانما التربية جماع اهتمامات القيادة والتلاميذ أو اولى الأمر والمجتمع ولذا جعلها الاسلام مبدءاً حيوياً في التربية وفي غير التربية : .

* ﴿ والعصر إن الانسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾[٧٦] .

* ﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾[٧٧] .

٥ ـ التربية بالحكمة والموعظة الحسنة :

لقد بين الله منهج النبى في الدعوة في قول الله تعالى : .

* ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن ﴾ .

---

(٧٥) « فلسفة التربية في القرآن » ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣١ .
(٧٦) سورة العصر .
(٧٧) سورة البلد آية ١٧

فيتحول مجرى حياة الشاب من العبث الى المدنية الانسانية ويشهد ان لا إله إلا الله .

إن مواعظ النبى لجيله ولكل جيل وصلت بالانسانية حينما اتبعت الى كمال انسانى ينبغى ان يتمثله المعلم والمتعلم اذ هي صادرة عن فكر معصوم وليست عن هوى .

انها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ربى بالعمل وبالقدوة والحكمة وبالموعظة وبالنظرة لقد كانت نظرة استنكار منه صلى الله عليه وسلم لفعل كافية في ابعاد الصحابة عنه الى ان يلقوا الله .

٦ ـ التربية بالقصـــة :

في القصة سحر يسحر النفوس ، أي سحر هو وكيف يؤثر على النفوس لا يدرى أحد على وجه التحديد .

أهو المشاركة الوجدانية لاشخاص القصة وما يثيره في النفس من مشاعر تتفجر وتفيض .

أهو انفعال النفس بالمواقف حين يتخيل الانسان نفسه في داخل الحوادث ومع ذلك فهو ناج منها متفرج من بعيد .

أياً كان الأمر فلا شك ان قارىء القصة وسامعها لا يملك ان يقف منها موقفاً سلبياً من شخوصها وحوادثها[٧٨] والاسلام وهو رسالة الله الأخيرة الى الخلق قدرت هذا الميل الفطرى حق قدره واستخدمته الاستخدام النقى النظيف استخداماً تربوياً يهذب في الانسان سلوكه عن طريق القصة وتأثيرها .

---

(٧٨) « منهج التربية الاسلامية » محمد قطب ـ الشروق ـ ص ١٩٢ .

وقد استخدم القرآن القصة :

١ ـ **التاريخية الواقعية** : كقصص الأنبياء عليهم السلام وجهادهم الطويل في الله وصبرهم وبلائهم في سبيل الحق وذكر الأماكن والأشخاص والحوادث وما فعله بهم أعداء الله وما آل اليه أمر كل منهما .

٢ ـ **القصة الواقعية النموذجية** : وهى النموذج الذى حدث ويحدث كل يوم في اشخاص أُخر كقصة آدم واغراء ابليس له ثم رجوعه الى الله بعدما وقع في الخطيئة .

٣ ـ **القصة التمثيلية** : التى لا تمثل واقعاً بذاته ولكنها يمكن ان تقع في أي لحظة من اللحظات وفي أي عصر من العصور كقصة صاحب الجنتين حينما طار به طيشه فاعتقد ان المال مناط الخيرية وان المكرم في الدنيا مكرم في الآخرة فطغى وبغى ونسى يوم البعث ، فأعطاه الله الدرس الذى رده الى صوابه فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا .

ومن البديهيات ان القرآن الكريم ليس كتاب قصص وانما هو كتاب تربية وتوصية ومن هنا فان القصة القرآنية تجىء خاضعة لأهداف القرآن الكريم في دقة الأداء وشمول الأهداف .

وأن النبى صلى الله عليه وسلم ليس قصاصاً وانما هو نبى ورسول جاء لبناء الانسان المسلم فاذا قص على الانسانية صلى الله عليه وسلم فقصته مفيدة برسالة نقاءاً وتربية وبناء للانسانية في داخل الانسان وخارجه ، فهو : ﴿ لا ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحى يوحى ﴾ . .

ومن فنيات القصة فى الاسلام :

١ ـ اختيار اللقطة المترفعة التى يستعلى فيها الايمان رائعاً شفافاً بما يصلح للقدوة .

٢ ـ اختيار اللقطة التى تصور سوء انحراف المنحرفين بما يصلح للتنفير من سوء أفعالهم وقبح أخلاقهم .

٣ ـ أنها لا تجعل من المجرم بطلاً يستهوى الشباب بأفعاله المستهجنة ووحشيته .

٤ ـ يضع الضعف الانساني في اطاره الصحيح بما يوجه الانسان الى البعد عنه والسلامة منه .

٥ ـ لا يجعل من لحظة الضعف بطولة تستحق الاعجاب والتصفيق .

٦ ـ تكون القصة الاسلامية قرآنية أو من السنة بحيث تربى النفوس وتهذب الطباع وتسمو بالأرواح .

« إن الآداب الأوربية المنحرفة المنقطعة عن هدى الله تبارك وتعالى المتأثرة في صميمها بما رسب في كيانها من أساطير اليونان القديمة التى تصور الصراع الدائم بين البشر والآلهة وتتمنى انتصار البشر على الآلهة الضالين الظالمين الطغاة[٧٩] وهي آداب ذات ايحاءات خبيثة لا تخفى فهى توحى للناس بعصيان ربهم والاغراق في الشهوات لكى يحققوا ذواتهم كأنما الطريق الوحيد لاثبات الذات هو الشهوات والعصيان وكأنما الطاعة لله هي انعدام الشخصية وزوال الكيان »

---

(٧٩) اسطورة برمثيوس ، نقلاً عن محمد قطب « منهج التربية » ص ٧٥ وما بعدها

التربية بالحكمة والموعظة الحسنة :

الرسـول واعـظ :

* ﴿ فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ﴾ .

والقرآن موعظة :

* ﴿ قد جاءتكـم موعظة من ربكـم ﴾ .

وللعظة مكانتها حينما تصدر من أب حكيم ومرب فاضل وقدوة حسنة والانسان دائماً على استعداد لأن يصغى ويرغب في سماع النصيحـة من محبيه وناصحيه فالنصح والوعظ يصبح في هذه الحالة ذا تأثير بليغ في نفس المخاطب ولا سيما حين يلمس المخاطب الود والنصح فيمن يعظه .. وحينما تكون الموعظة صادرة من محب : .

* ﴿ عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .

ومن القلب الى القلب إنه يغير مجرى حياة الانسان بالقلب ، ولقد كانت مواعظ النبى صلى الله عليه وسلم ذات قيمة تربوية رائعة ، فبينما يدخل عليه شاب يريد الايمان به شريطة أن يحل له الزنى ويهم بعض الصحابة بضرب عنقه فيأمرهم النبى بالترسُّل .. ويحاور الشاب :

- **أترضاه لأمك** : فيجيب لا ، فيقول وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم .
- **أترضاه لأختك** : فيجيب لا ، فيقول وكذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم .
- **أترضاه لزوجك** : فيجيب لا ، فيقول وكذلك الناس لا يرضونه لزوجاتهم .
- **أترضاه لابنتك** : فيجيب لا ، فيقول وكذلك الناس لا يرضونه لبناتهم .

٧ ـ **التربية بالعقـوبة :**

الجيل الذى أريد له ان يتربى بلا عقوبة ـ في أمريكا ـ جيل ضحل مفكك الكيان .

فمع ان العقوبة ليست ضرورية لكل شخص إلا أنها ضرورة لأفـراد لا يقتنعون بالقدوة ولا يتعظون بالموعظة وهي منهل ذوى الاحساس يرون من يعمل فتتحرك فيهم الأشواق الى العمل والبواعث الى المحاكاة أو من تزل به السبل فتكفيه الكلمة ترده الى الهدى وتأخذ بيده مبعدة عن الردى .

لكن اذا كان الانسان لا يحمل حساسية التقليد والمحاكاة .

واذا كان الانسان لا تثنيه العبارة .

● **فبم نرد الانسان الى جادة الطريق وبم نحمى الآخرين من انحراف سلوكه وضعف قيمه .**

لابد اذاً من العقوبة « حين لا تفلح القدوة ولا تفلح الموعظة فلا بد اذن من علاج حاسم يضـع الأمور في وضعها الصحيح »[٨٠] وليكون له من نفسه واعظ ، لأن تلمس الأعذار للمنحرف يدفعه الى التوغل في الانحراف ، وقديماً قيل : « آخر العلاج الكي » !!.

ومن هنا فإن الاسلام يعكس هذه النظرة على التربية فـاذا به يعتبـر العقوبة وسيلة من وسائل التربية حين يحتاج اليها تبدأ من الحزم في النظرة وكم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربيّ بالنظر حتى وجّه الله الأمـة للتربية بنظرته : .

* **﴿ ولا تقولوا راعنـا وقولوا انظرنـا ﴾ .**

وكم غيرت نظرة استنكار منه سلوكاً منحرفاً وكم ثبتت نظرة رضا منه سلوكاً سوياً .

---

(٨٠) محمد قطب « منهج التربية الاسلامية » ص ١٩٨ .

فالكلمة العاتبة : ﴿ ياغلام سم الله وكل بيمينك ﴾ . . .

فالكلمة الحازمة : ﴿ أعيرته بأمه ﴾ . . فالتهديد بعدم رضا الله .

فالتعزير ، فالتهديد بحرب الله .

فالحد . . .

التربية بالعادة : عن طريق تربية العادة

للعادة أثرها الخطير في حياة الانسان فتعلم العادة يوفر للانسان طاقة كبيرة كانت ستبذل لو لم تتعلم هذه العادة ، ولكنها على عظم مهمتها في حياة الانسان قد تنقلب الى معوق يعوق مسيرته السوية في الحياة بل قد تعوق الآخرين أي يتعدى أثرها صاحبها الى غيره :

ولا تجلس الى أهل الدنايا
فان خلائق السفهاء تعدى

من هنا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تربية العادة والتربية بها عند الناشئة .

وينشأ ناشيء الفتيان منا على ماكان عوده أبوه .. ولقد بدأ الاسلام بازالة العادات السيئة التى كانت سائدة عند الناس في الجاهلية بأحد طريقين : .

١ ـ الحسم والازالة اذا كانت تتصل بأصل التصور والعقيدة والارتباط المباشر بان قد قطعها الاسلام قطعاً مباشراً لانها كالورم الخبيث لابد من أن يجتث ويستأصل من جذوره لانه يتعارض مع الحياة النفسية .

٢ ـ التدرج البطيء وذلك في العادات الاجتماعية التى لا تقوم على مشاعر الفرد وحدها بل ترتبط بأحوال اجتماعية واقتصادية متشابكة .

● **مثال الأولى :**

عبادة الأوثان ، الكذب ، والغيبة والنميمة ، والكبر ، والعنجهية .

● **مثال الثانية :**

الخمر ، والربا ، والرق .

والاسـلام يلجأ الى :

١ ـ إثارة الوجدان واستثارة الرغبة في العمل لانشاء وبناء عادات جديدة خيره .

٢ ـ تحويل الرغبة الى عمل فردي .

٣ ـ تحويل العمل الفردي الى عمل اجتماعى يرتبط فيه المجتمع كل المجتمع بالخالق العظيم عبودية له وتلقياً منه فاذا بالمجتمع كله تعود حيـاة الايمان والتراحم والمراقبة المستمرة للحق تبارك وتعالى .

٩ ـ إفـــراغ الطـــاقة :

الانسان لانه انسان فقد أودع الله فيه الطاقة اللازمة للحياة ولعمارة الارض مادية كانت أم نفسية والاسلام يجمع الطاقة في الانسان ويوجها الى مسارها الصحيح فيوجه الكره للشيطان وأتباعـه والجهاد المستمـر لهم ، ويوجه الحب لله وللرسول ولجند الله .

ويوجه الطاقة المادية الى التعمير لا الى التدمير ، والى الحق لا ألى الباطل .

والى المشروع لا الى المحرم والمنكر وبهذا المستوى الرفيـع نستطيع ان نفهم شعاعاً من نور النبوة في الحديث النبوي الشريف .

يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » . .

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

« من كان متأسياً فليتأسى بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً .. وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً ،

وأحسنها حالاً .. اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم »[٨١] .

ان سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته الذين لم تكتحل الدنيا برؤية مثلهم منهل عذب يرده الظمآن من علماء التربية كي يأخذ عنهم ويربى بهم اذ هم الترجمة العملية لنصوص الاسلام ومفاهيم الاسلام وقيم الاسلام ، ولقد ظلت الأجيال المسلمة تستقي من معين فضائلهم .. وتستضيء بنور مكارمهم وتنهج في التربية نهجهم وتسير في بناء المجد سيرهم .

لقد اتسمت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بالربانية والشمول ولها سمة التجدد والاستمرار لان هذه السيرة العطرة لم تكن فكرة ذهنية أو حكاية اسطورية وانما تحققت في أمة تلمسها بالأيدى وتراها بالأعين وتشم عبيرها الفواح على مسار التاريخ في الدنيا الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد انتصر المسلمون يوم صنع النبي هذه الأجيال صوراً حية من ايمانه ونماذج مكررة لعبادته واسلامه وامتثاله .

تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وتذب عن دين الله بالأرواح والمهج .

يوم صاغ كلا منهم قرآناً يمشي على الأرض يمتلؤ بالحياة والقوة والعون .

يوم رباهم النبي فكان كلٌ منهم اسلاماً حياً يدب على الأرض اسلاماً مجسماً يراه الناس فيرون فيه الاسلام .

تحس في الفرد منهم العقيدة التقية التى لا تزلزل والشريعة الملتزمة التى لا تحيد عن الحق والأخلاق الرفيعة العالية التى لا يعرف الشر اليها سبيلا .

ان النصوص وحدها لا تصنع شيئاً إلا ان تصير رجالاً .

---

(٨١) محمد قطب ، « منهج التربية في الاسلام » ص ١٨٩ ـ دار الشروق ـ .

وان المبادىء وحدها لا تعيش إلا ان تتحول الى سلوك حي .

وان المواعظ الرنانة لا تصوغ ضمائر يقظة .

وان الخطب المدبجة لا تبنى أمه .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طبع آلاف النسخ من المصحف لا في السطور فحسب بل في سلوك الرجال :

* ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم . تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا . سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾[٨٢]

* ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون . وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾[٨٣] .

* ﴿ والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾[٨٤] .

● **الزواج وارتباطه بالتربية :**

من أجل الحفاظ على النوع الانساني والانسان وصيانة من الانحلال والأمراض وللسكن الروحي والنفسي وحفاظاً على الناشئة شرع الحق تبارك وتعالى الزواج والزواج يدور في الاسلام على أحكام فهو فرض لمن تمكن من الانفاق وتأكد وقوعه في الفتنة واجب لمن لم يأمن على نفسه مستحب مباح في المالك الآمن الفتنة .. الخ الأحكام التى فصلها الفقهاء في أبوابها .

ـ ﴿ من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس منى ﴾

[رواه الطبراني]..

---

(٨٢) سورة الفتح آية ٢٩ .

(٨٣) سورة الذاريات آية ١٧ .

(٨٤) سورة الحشر آية ٩ .

- ﴿ جاء ثلاثة رهطٍ الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . . .

قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبداً .

وقال آخر : وأما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر .

وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ! .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟!! أما إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس مني ﴾ .

ولابد ان يتم الزواج على انتقاء واختيار لأن تأثر الناشئة بالزواج أمر ضروري (فعليك بذات الدين تربت يداك) . . .

- [ويروي الطبراني في الأوسط عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم] : ﴿ من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا ان يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه ﴾ .

ويرشد الاسلام أولياء المخطوبة الى مثل هذا ففي الحديث :

- ﴿ إذا آتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير ﴾ . .

ان الرجل والمرأة سيكونان لبنة اسرة وكيف يبنى المنحل جيلاً ؟ .

وكيف تربى المتهتكة بناتها وبنينها على الفضائل ؟.

الاختيار كما يبينه النبي صلى الله عليه وسلم له أثره الفعال في بناء الجيل في بناء الشخصية السوية والأخلاق الفاضلة لكى لا يتربى الأولاد على الاباحية والانحراف والفساد والمنكر والاختيار على أساس يبنى الأسرة على الاستقرار والسعادة .

فالرجل آمن علي بيته العف الطاهر ، والمرأة آمنة على زوجها التقى النقي الورع ، لا تطغى المرأة على الرجل بمالها ولا بجمالها ولا بحسبها ، لأن لها من الدين العاصم والوازع والرقيب ولا يؤذى التقى امرأته بالعبارة أو بالمركز الاجتماعي فله من دينه محاسب إذا غاب الناس ومذكر اذا نسى الناس .

- **والاختيار على أساس الدين لعلة بناء النشء توضحه الأحاديث التالية :**

— **﴿ اياكم وخضراء الدمن . . ﴾ .**

[رواه الدارقطني والعسكري وابن عدي مرفوعاً]

— **﴿ تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء ﴾ .**

[رواه الدارقطني والحاكم عن عائشة مرفوعاً]

— **﴿ تخيروا لنطفكم فإن العرق دسَّاس ﴾ .**

[بن ماجة والديلمي]

— **﴿ تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه اخوانهن واخواتهن - وفي رواية اطلبوا مواضع الأكفاء لنطفكم فان الرجل ربما اشبه اخواله ﴾ .**

والاغتراب لكي لا يخرج النسل ضاوياً ، واختيار المرأة الولود لسلامة جسمها وقدرتها على التربية السليمة ويتم ذلك بالنظر الى حال أمها .

وعدم تفضيل الذكر على الأنثى .

فاذا ما ولد عق له وختنه وحلق شعره وحنكه وسماه يوم السابع اسماً حسناً .

ويوصي الاسلام برحمة الصغير مؤكداً على ذلك في غير :

- ﴿ فليس منا من لم يرحم صغيرنا ﴾ .
- [روى البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال] : ﴿ أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ « ومعه صبي » فجعل يضمه اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أترحمه ؟ قال نعم : قال فان الله أرحم بك منك به وهو أرحم الراحمين ﴾ .

وكان ينظر الى من لا يرحم الصغير على أن الله نزع الرحمة من قلبه .

وأجاب من قال له ان لى عشرة من الأبناء ما قبلت منهم أحداً بقوله صلى الله عليه وسلم [من لا يَرحم لا يُرحم] .

- [روى البخاري في أدبه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال] : ﴿ جاءت امرأة الى عائشة رضى الله عنها فأعطتها عائشة ثلاث تمرات فأعطت كل صبي لها تمرة وأمسكت لنفسها تمرة فأكل الصبيان التمرتين ونظرا إلى أمهما فعمدت الأم الى التمرة فشقتها فأعطت كل صبي نصف تمرة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته عائشة فقال وما يعجبك من ذلك ؟ لقد رحمها الله برحمتها صبييها ﴾ .

○ وكان صلى الله عليه وسلم يذرف الدمع عطفاً على صغير تفيض روحه !! .

وفي هذا توجيه لكل من يتولى أمر الطفل بتأديبه ، ماعليه واجب يدفعه الى ذلك رفق وحنان وعطف لما حل في قلبه نتيجة التوجيه النبوي الكريم .

○ ويوصي الرسول صلى الله عليه وسلم بالعدل بين الأبناء لان لذلك مردوده

النفسي على الصحة النفسية للطفل حيث تترعرع السوية في ظلال البيت الرحيم العادل .

كما يغلب الاسلام مصلحة العقيدة على حب الولد تعديلاً لانحرافه فلا يطغى حبهم على حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

التوجيه والوعظ والملاحظة

- [روى البخاري عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال] : ﴿ كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحن ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياغلام . . سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » ﴾ .

- [روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه] ﴿ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم للغلام أتأذن لي ان أعطى هؤلاء . ؟

ـ وهذه ملاحظة ـ

فقال الغلام والله لا أوثر بنصيبي منك أحداً ، فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده ﴾ ـ [وهذا الغلام هو عبد الله بن عباس] ـ

في مراحل التاديب

- ﴿ مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع ﴾ .

[رواه أبو داود والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده]

وهذه المراحل تشمل سنى الطفولة والمراهقة .

وفي هذه الفترة نجد تحوط النبي صلى الله عليه وسلم في التربية تحوطاً يمتد من السيرة الى الأسرة حيث تنعكس الحياة الأسرية على الأطفال والمراهقين فيجنب الأسرة الشقاق والطلاق من أجل جيل سوى .

ويجنب الأطفال رفقة السوء حيث :

- ﴿ المرء على دين خليله ﴾ . .

وفيما رواه ابن عساكر :

- ﴿ إياك وقرين السوء فإنك به تعرف ﴾ .

وبنظرة فاحصة دونها نظرات المربين في كل عصر يأمر النبي صلى الله عليه وسلم الوالدين بحسن معاملة الطفل حتى لا تسوء أخلاقه :

- ﴿ رحم الله والداً أعان ولده على بره ﴾ .

في أصول التربية النبوية

سنقف مع حديث نبوى واحد لامام المربين محمد عليه الصلاة والسلام نفقه منه اصول التربية الخالدة للطفل :

- [عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال :] ﴿ أتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا ، فبعثني رسول الله في حاجته ، فأبطأت على أمي ، فلما جئت قالت : ما حبسك ؟ ، فقلت : بعثني رسول الله في حاجة ، قالت : ماحاجته ؟ . . قلت : انها سر ، قالت : لا تخبر بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً ، قال أنس : والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به ياثابت ﴾

[رواه مسلم واخرج بعضه البخاري مختصراً]

[١] أنس بن مالك طفل يدرج في العاشرة من عمره مهمته الأساسية خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والخادم عليه أن يكون ليل نهار بين يدي سيده ، واحتاج الرسول صلى الله عليه وسلم حاجة ضرورية

ملحة ولم يجد خادمه بين يديه ، هل بعث وراءه من يجلبه عنوة لينزل به عقوبته كما يفعل المربي عند خطأ تلميذه ، أبداً ، بل خرج هو وراءه يبحث عنه ، فلا يجد المعلم اذن غضاضه ان يبحث عن تلميذ ان كان له به حاجة ، وهذا لا ينقص من شأنه .. والتربية الحديثة تقوم على الصداقة بين المربي والطفل .

[٢] (أتى علي رسول الله وأنا ألعب مع الغلمان) فلقد ترك أنس مهمته الرئيسية وخرج يلعب مع الغلمان ، لابد له إذن من عقوبة حسب ما هو راسخ في أذهاننا ، وضع اللعب في وقت العمل والجد .

- ولنكن واقعيين ، كيف يصنع المعلم حينما يجد الطفل يعبث بحصته أو يكلم رفيقه أثناء الدرس ، انه سيغضب وهذا ينافي العملية التربوية لان الاستاذ يعكس على التلميذ صورته .

[٣] (**فسلم علينا**) يالله .. سلم على الأطفال اللاهين العابثين ، ولم يتفرق الأطفال عند رؤيته ذعراً منه ، فهم يشعرون أن صديقاً حبيباً لهم أتى لمكان لعبهم فسلم عليهم فردوا عليه السلام ، إنها انماء شخصية الطفل ومواهبه ، وكم يشعر الطفل بشخصيته وقيمته يوم يرى رسول الله يمر عليه وهو يلعب فيلقى عليه اسلام .. هل خطر بذهن معلم أن يقرىء طلابه السلام وهم يلعبون وهل خطر بذهن مربياتنا اليوم أن يلقين السلام على طالباتهن حتى وهن يلعبن ، إن كانت التربية الحديثة تدعو اليوم الى ذلك وتعتبر الطفل وحاجاته ومواهبه محور العملية التعليمية لا المربي ، فلقد كان إمام المربين قبل أربعة عشر قرناً هو الذي قدم لنا ذلك في صورة تربية عملية سلوكية .

[٤] (فبعثني في حاجته) ، وضن علينا أنس أن يخبرنا بهذه الحاجة ، فلا شك أنه سارة بها من بين زملائه ، ولو قالها له علناً لعرفها كل رفاقه ، لقد اختاره من بين رفاقه لمهمة ، وتظهر لأعيننا الآن فكرة الفروق الفردية ، ومراعاتها فكل طفل له طاقاته وامكاناته . .

● لقد راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصيات الأطفال جميعاً يوم ألقى عليهم السلام وهم يلعبون ، ثم راعى الفروق الفردية بطبيعة ظروفهم ، فأنس يعمل عنده ، فساره رسول الله بحاجته وبعثه بها .

[٥] ثقة أنس رضي الله تبارك وتعالى في نفسه واعتزازه المطلق بذلك لان النبي ساره وبعثه في حاجته فتنمو بذلك جوانب شخصيته مما له أثره في مستقبل حياته .

[٦] (**فابطات على أمي**) تناسى اهتمام الطفل بأمه رغم شعوره به أمام الاهتمام الأكبر بحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[٧] (**فلما جئت قالت ما حبسك**) ..

ياله من بيت نموذجي له دوره في التربية فهو لا يطلق حبل الأطفال على غاربهم بل يسأل ويراقب ويراجع السلوك ولو كلف كل ولي امر أو كل ربة بيت من يعولهم أين كانوا ولم غابوا ومن أين احضروا الهدايا التى معهم .

انعقد المؤتمر الثامن في ميلانو بايطاليا بدعوة من منظمة الأمم المتحده لجعل ١٩٧٩ م سنة الطفل وقدمت الابحاث التى ركزت على الموضع المؤسف للطفولة بسبب عمل الأمهات وضعف المستوى الأقتصادي الخ .. مما كان سبباً في جنوح غالب الأطفال وقبلها بعام ، انعقد مؤتمر في بريطانيا لبحث ظاهرة الاجرام بين الأطفال وكان أيضاً ملوحاً بأن سبب ضياع الأطفال وأوضاعهم الأليمة هو هجر الأمهات للبيوت .

أليس للمسلمين أن يفخروا بدينهم الذي ألزم الأب والأم بتوجيه وتربية الطفل حتى يبلغ سن الرشد حتى ولو تم طلاق بين الوالدان يرضعن أولادهن ويحتضمن أولادهن وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن .

ويتضح هذا جلياً في قوله صلى الله عليه وسلم :

- ﴿ الزمـوا أولادكـم ﴾ . . . ويقول :
- ﴿ من حق الولد على والده ان يحسن اسمه وأدبه وان يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا طيباً ﴾ .

- وكان صلى الله عليه وسلم اذا مرب بالصبيان .. سلم عليهم ..

- وكان ينهى قادة الجيوش الاسلامية عن قتل اطفال العدو وأجل اقامة الحد حتى ولدت المرأة وأرضعت ، ويسمع بكاء الطفل فيعجل الصلاة ، ويمنع صلى الله عليه وسلم الأم من التعامل بالكذب مع اطفالها .

- ويبين لنا النبي صلى الله عليه وسلم انه وكافل اليتيمة في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما

[رواه البخاري]

فلم ينس بذلك الأيتام من الرعاية النفسية والمالية والصحية والاجتماعية .

* ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ (٨٥) .

* ﴿ ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير ﴾ (٨٦) .

هذا مفهوم خاطىء عرفنا خطأه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاهتمامات الطفل هي الأولى بالرعاية لا اهتمامات المربي ، ومهمة المعلم هي القدرة علي تصريف الطاقات وإثارة الاهتمامات بالاضافة الى ناحية اخرى مهمة وهي حاجة الطفل الملحة الى اللعب ، ولابد أن تلي حاجته ، ومن أجل هذا لم نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يغضب أو يزمجر أو يتوعد ، وحاشاه عليه الصلاة والسلام ، فلقد روى أنس رضى الله عنه في حديث آخر أن الرسول عليه الصلاة واسلام لم يضرب خادماً ولا امرأة قط ، ويقول أنس : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ، وما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ، وما قال لي لشيء تركته لم تركته .

● ان الاهتمام بالسلوك هو ما تنادي به التربية الحديثة وهو ما صنعته ام أنس ! .

---

(٨٥) سورة الضحى آية ٩ .

(٨٦) سورة البقرة آية ٢٢٠

[٨] (**كنت في حاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم**) .. « انها الشخصية المسئولة » .

[٩] (**ما حاجته ؟ .. فيرد بأنها سر**) ! .

طفل في العاشرة يحتفظ بالسر ولا يطلع عليه أمه وتساعده أمه على السوية الشخصية فلا تضغط عليه ولا تعنفه .

- ان الثمرة التربوية الأولى : اشاعة الثقة فيه يوم ساره الرسول صلى الله عليه وسلم .
- **والثمرة الثانية** : إثارة الاهتمام يوم أبطأ على أمه .
- **والثمرة الثالثة** : النمو السليم المتكامل نفساً وعقلاً وجسماً يوم احتفظ بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالروعة التربية حينما توصي الأم ابنها بان يحتفظ بسر رسول الله .

تعاون البيت والمربى ولا يمكن ان تفشل تربية تتعاون فيها الأسرة مع المدرسة أبداً .

[١٠] ويسأله ثابت فيظل محتفظاً بالسر حتى على ثابت ، انه الجانب النظري في التربية والجانب العملي فيها يتساويان معاً .

وأخـــيراً :

كم نحن بحاجة لفقه سيرة نبينا وتربية أبنائنا على هذا النهج السوي وهذا المنهل العذب ..

المـــراجع

(١) تفسير القرآن الكريم .

(٢) ابن جرير الطبري .

(٣) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) .

(٤) ابن كثير .

(٥) اوضح التفاسير .

(٦) صفوة التفاسير .

(٧) من السنة المطهرة .

(٨) صحيح البخاري .

(٩) صحيح مسلم .

(١٠) فتح الباري في شرح صحيح البخاري .

(١١) الفتح الرباني .

(١٢) فلسفة التربية في القرآن الكريم .. د . خليل علي ـ دار الفكر ـ ١٩٨٠ م .

(١٣) المعجم الوسيط .. جزء ١ ـ ط . ـ مجمع اللغة ـ ١٩٦٠ .

(١٤) مبادىء التربية الصناعية .. د . محمد سيف الدين فهمي ، د . سليمان نسيم ، د . سليمان نسيم ـ الانجلو ـ ١٩٦٧ م .

(١٥) العدالة الاجتماعية في الاسلام .. سيد قطب ـ دار الشروق ـ « بيروت » ١٩٧٤ م .

(١٦) الاسلام وتحديات العصر .. د . عبد الغني عبود ـ دار الفكر ـ ١٩٧٦ م .

(١٧) التربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري د . حسن عبد العال ـ دار الفكر العربي ـ .

(١٨) في ظلال القرآن الكريم ـ دار الشروق ـ .

(١٩) الانسان في القرآن .. المجلد السابع من اسلاميات عباس محمود العقاد ـ دار الكتاب اللبناني ـ « بيروت » .

(٢٠) الجامع لاحكام القرآن (القرطبي) ـ دار الشعب ـ ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

(٢١) الايمان والحياة .. د . يوسف القرضاوى ـ مكتبة وهبة ـ ١٩٧٣ م .

(٢٢) المجتمع الانساني في ظلال الاسلام .. الشيخ محمد ابو زهرة ـ مجمع البحوث ـ ١٩٦٦ م .

(٢٣) تفسير بن كثير ، مسند الامام احمد ، حديث رقم ٤٨٨٨ نشر احمد شاكر .

(٢٤) نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الاسلامي .. محمد فاضل الجمالي ـ التونسية للنشر ـ ١٩٧٢ م .

(٢٥) فلسفة تربوية متجددة .. د . محمد فاضل الجمالي ـ بيروت ـ ١٩٥٦ م .

(٢٦) المعرفة في منهج القرآن .. صابر طعيمة ـ دار الجيل ـ بيروت .

(٢٧) تفسير بن باديس .. مجمع محمد صالح رمضان ، توفيق محمد شاهين ـ دار الفكر ١٩٧١ م .

(٢٨) من الاحوال التربوية في الاسلام .. د . عبد الفتاح جلال ـ سرس الليان ـ ١٩٧٧ م .

(٢٩) دستور الأخلاق في القرآن .. د . محمد عبد الله دراز .

(٣٠) علم النفس واثره في التربية الاسلامية .. نقلاً عن الوعي الاسلامي سنة ١٩١١ م .. محمد علم الدين .

(٣١) دراسات في سيكلوجية النمو .. د . حامد الفقي ـ عالم الكتب ـ ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

(٣٢) تدريس المواد الاجتماعية .. أحمد حسين اللقاني ، برنس احمد رضوان ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٤ م .

(٣٣) منهج التربية الاسلامية .. محمد قطب .. ـ دار الشروق ـ .

(٣٤) القرآن في التربية الاسلامية .. الشيخ نديم الجسر .

(٣٥) التربية الاسلامية .. محمد علم الدين .

(٣٦) علم النفس الاجتماعي .. د . أحمد عبد العزيز سلام ، د . عبد السلام عبد القادر ، ـ دار النهضة العربية ـ ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

مطابع قطر الوطنية ص . ب ٣٥٥ الدوحة ـ قطر